الشباب في المناطق المهمّشة في لبنان:

جيوب الفقر اللبنانية والمخيّمات الفلسطينيّة والتجمعات السوريّة

الكتاب السادس

تخيّل الشباب لمستقبلهم: هروب نحو المجهول

AUB
1866
American University of Beirut
الجامعة الأميركية في بيروت

Issam Fares Institute for Public Policy and International Affairs
معهد عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية

LAES
الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية

بيروت، كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٢١ © جميع الحقوق محفوظة.

صدر هذا الكتاب عن معهد عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية في الجامعة الأميركية في بيروت (IFI) بالشراكة مع الهيئة اللبنانية للعلوم التربويّة (LAES). يمكن الحصول على هذا الكتاب عبر تحميله عبر الموقع الإلكتروني التالي:
http://www.aub.edu.lb/ifi

إن هذا الكتاب هو الكتاب السادس ضمن سلسة يُصدرها المعهد بالشراكة مع الهيئة في إطار مشروع الهيئة البحثي تحت عنوان "الشباب في المناطق المهمّشة في لبنان: جيوب الفقر اللبنانية والمخيّمات الفلسطينيّة والتجمّعات السورية".

يقدّم هذا الكتاب نتائج الدراسة التي قامت بها الهيئة تحت إشراف د. عدنان الأمين، أستاذ العلوم التربوية في الجامعة اللبنانيّة ومستشار المعهد لبرنامج التربية والشباب، عن الشباب في المناطق المهمّشة في لبنان والتي استغرقت ثلاث سنوات (٢٠١٨ - ٢٠٢١). تناولت هذه الدراسة ستة جوانب لحياة الشباب وهي: الحياة المهنية والتعليمية والعائلية والاجتماعية بالإضافة إلى مسألة الهوية والمستقبل.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب تلزم كتّابها حصرًا ولا تعكس آراء معهد عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية أو الجامعة الأميركية في بيروت.

يحظّر استعمال أو إعادة إنتاج هذا الكتاب أو أي جزء منه، بأي شكلٍ من الأشكال من دون إذن مسبق وخطّي من الناشر، إلا في حالة استخدام بعض الاقتباسات منه مع ذكر المصدر.

ISBN number: 978-9953-586-92-2

معهد عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية -
الجامعة الأميركية في بيروت
0236-11، رياض الصلح / بيروت 2020 1107 لبنان
الهاتف: 350000-1-961+ الخط الداخلي: 4150
+961-1-737627
ifi.comms@aub.edu.lb
www.aub.edu.lb/ifi
aub.ifi
@ifi_aub

تخيّل الشباب لمستقبلهم: هروب نحو المجهول

عدنان الأمين
ماريز يونس
غادة جوني
كمال أبو شديد

فريق الدراسة

مدير الدراسة عدنان الأمين

اللجنة الاستشارية ساري حنفي، ندى منيمنة، رضا حمدان، وفاء قطب

الباحثون

ماريز يونس دراسات الشباب اللبنانيين (٦ دراسات)

كمال أبو شديد دراسات الشباب الفلسطينيين (٦ دراسات)

غادة جوني دراسات الشباب السوريين (٦ دراسات)

عدنان الأمين دراسات مقارنة (٦ مقارنات إحصائية) ودراسة السياسات

سوزان عبد الرضا أبو رجيلي التقديمات التربوية في المناطق المهمّشة - دراسة إدارة المعلمين للصفوف في زمن الكورونا

يارا ياسر هلال التقديمات التربوية في المناطق المهمّشة - دراسة إدارة المديرين للمدارس في زمن الكورونا

المستشارون

رضا حمدان أوراق مرجعية حول دراسات الشباب اللبناني، وخريطة جيوب الفقر اللبنانية، وحول كيفية اختيار عينة دراسة الشباب في المشروع.

ماري قرطام أوراق مرجعية حول: دراسات الشباب الفلسطيني، وخريطة الوجود الفلسطيني في لبنان، والسياسات المتعلقة بالشباب الفلسطيني.

ربى محيسن ورقتان مرجعيتان حول دراسات الشباب السوريين، وخريطة الوجود السوري في لبنان

سهير الغالي ورقتان مرجعيتان حول السياسات المتعلقة بالشباب اللبنانيين والشباب السوريين

الباحثون المساعدون

تحليل الوثائق آلاء خالد، ريما جودة، شريفة حمزة، فاطمة عيسى، كاتي سكاف، محمد علوية، مروة بكاباس، مريم صباغ، نسرين صباغ، هبة شاهين، هلا أبي صالح، هلا منقارة، هنادي الشافعي.

إدارة العمل الميداني آلاء خالد، حسن سالم، حسين ديراني، دزاهيغ كول ساهاغيان، رنا نعيمي، زكية قرنفل، زينب رزوق، شادية المقداد، عليا شعبان، عمر عساف، كريستيان العجوري، محمود العلي، محمود خالد، هنادي الشافعي، هند يعقوب.

المحتوى

مُلخّص ٤
مُقدّمة ٥
الشباب اللبناني في البيئات المُهمّشة.اليأس من لبنان والهجرة الورديّة ٧
تخيّل الشباب لمستقبلهم في التجمّعات السوريّة ٢٩
الشباب في المُخيّمات الفلسطينيّة: ضعف الآمال بالمستقبل في مقابل الأمل في فسحة الأحلام ٣٩
شباب الفقر وصورة المستقبل دراسة مُقارنة ٥٠

مُلخّص

تهدف دراسة الشباب في المناطق المُهمّشة إلى الكشف عن تفاعل الشباب مع شروط التهميش الاجتماعي التي يعيشونها. أُجرِي العمل الميداني في صيف العام ٢٠١٩، وشمل ١٤٤ مجموعة تركيز في ٣٨ منطقة مُهمّشة في لبنان تضمّ جيوب فقر لبنانيّة ومخيّمات فلسطينيّة وتجمّعات سوريّة. تمّ تنظيم ٤٨ مجموعة تركيز لكلّ جنسية موزّعة مناصفة بين الذكور والإناث. شارك في هذه المجموعات ١١٧٣ شاباً وشابّة تراوح أعمارهم بين ١٥ و٢٥ سنة، وطرح على مجموعات التركيز ٢٢ سؤالاً.

يعالج الكتاب الحالي أجوبة الشباب المُتعلّقة بأسئلة المستقبل وهي ثلاثة: كيف تنظرون إلى مستقبلكم؟ ماذا تتوقّعون أن يحصل معكم فعلاً في المستقبل؟ ما أبرز أمنية تتمنون لو تتحقّق في المستقبل؟

أظهرت الدراسة أن الشباب يواجهون تحدّي شروط العيش الصعبة في بيئات مُهمّشة، وتحدّي العيش في ظروف سياسيّة غامضة ومجهولة المصير. لذلك نجد أنّ ٧٣٪ منهم يشعرون بفقدان الأمل والخوف والقلق والغموض. أمّا عن توقّعاتهم فيغلب عليها الطابع الوجودي، وفي طليعتها الهجرة، أو مجرّد تمنّي السلام والأمن. ولعل التوقّعات العائليّة هي التوقّعات الوحيدة الآمنة والمُسبِّبة للفرح وفي طليعتها الزواج والإنجاب. إذا كانت «المغامرة» وما فيها من حبّ وعزوبية ولهو وفنتازيا، هي خاصيّة شبابيّة بامتياز، فقد بدا الشباب اللبنانيون أكثر إقبالاً عليها من الفلسطينيين والسوريين، وأكثر كلاماً عن رغبتهم في «لعب دور في المجتمع». الإناث أكثر تعبيراً عن القلق والخوف والغموض، لكنهن يتكلّمن أكثر من الذكور عن توقّع الأحسن والمراهنة على الفرص الدراسيّة المهنيّة في المستقبل. والذكور أكثر كلاماً عن غياب الأمل، وتوقّع الأسوأ، والهجرة والتوقّعات الوجوديّة.

ABSTRACT

This study on Youth in Marginalized Settings in Lebanon aims to reveal the way the youth interact with their environment, while accounting to the socially marginalizing conditions they live in. The fieldwork was conducted in summer 2019. 144 focus groups were conducted in 38 marginalized regions in Lebanon, including Lebanese poverty pockets, Palestinian camps, and Syrian gatherings. 48 focus groups were conducted with groups of each nationality. These groups were equally divided between males (24 exclusive), and females (24 exclusive). 1,173 youth aged 15 to 25 years participated in the study. focus groups included 22 questions.

This current book examines youth's perception of the future. Participants were asked three questions: How do you see your future? What do you expect to happen to you in the future? What do you wish would come true in the future?

The study revealed that youth are faced with harsh living conditions in marginalized environments. The youth also face uncertainty and live in ambiguous political conditions. 73 percent of participants reported that they feel hopeless, anxious, uncertain, and fearful. Participants reported that they do not have high expectations for their future. Many of them have existential expectations, where emigration comes first, or just having a peaceful and secure life. However, they did report having positive family expectations, especially when it comes to marriage and childbearing. The Lebanese youth also seemed more inclined to hope to embark on adventures (love, celibacy, fun and fantasia), in comparison to the Palestinians and Syrians. Additionally, the Lebanese spoke more about their desire to "play a role in society." In regard to gender, females reported feeling more anxious, fearful, and uncertain, in comparison to males. However, they generally had a more positive outlook on life and had more hope for advancing academically and professionally. Males, on the other hand, felt more hopeless.

مُقدّمة[1]

يجمع لبنان ثلاث مجموعات سكّانية مُهمَّشة: جيوب الفقر اللبنانيّة، المُخيّمات الفلسطينيّة، وتجمّعات النازحين السوريين.

نحن نعرف أنَّ المناطق المهمَّشة يسودها الفقر وسوء الخدمات الاجتماعيّة والتربويّة والصحّية، إلخ... ونعرف أنَّ اللاجئين والنازحين يعيشون في ظروف صعبة. ليس هدف هذه الدراسة البرهان على أنَّ الشباب في مناطق التهميش والفقر هم فقراء.

ونعرف أنَّ هذه المناطق تضمّ مهناً غير مُنظَّمة (non-formal)، ومنظّمات سياسيّة ودينيَّة وعسكريَّة، وربّما تضمّ خارجين عن القانون يلجؤون إليها. ونعرف أيضاً أنَّه توجد فيها جمعيّات مدنيّة وتطوّعيّة وتدريبيّة وخيريّة وملاعب ونوادٍ ومنظّمات إقليميّة ودوليّة. ليس هدف هذه الدراسة «مسح» المناطق المُهمّشة.

السؤال الرئيسي لهذه الدراسة هو التالي: كيف يتفاعل الشباب مع شروط العيش التي نعرفها في المناطق المُهمّشة.

وقد اخترنا الشباب تحديداً ليس لأنّهم مجرّد عيّنة من سكّان هذه المناطق، بل لأنَّ الشباب مقارنة بغيرهم من السكّان يُعتبرون الشريحة الاجتماعيّة التي تحمل أكثر من غيرها، عادةً، بذور القلق والتمرّد على شروط عيشهم المباشرة وغير المباشرة. من هذه الناحية، تعتبر الدراسة جديدة في موضوعها.

ثمّ اخترنا ثلاث مجموعات من السكّان لكلّ منها حكايتها وتاريخها، ومرّ كلٌّ منها بمراحل سياسيّة دراماتيكيّة أحياناً، وتكوّنت فيها «طبقات» من الأفكار والقيم عن المحيط صعوداً من الأسرة والأقران، إلى المجتمع المحلّي، فالمجتمع والدولة في لبنان، وإلى المجتمع الدولي. من جهة، أردنا سبر غور أفكار الشباب في هذه الدراسة من خلال سماع صوتهم، ومن جهة ثانية، أردنا فهم وتحليل ما يقولونه وإجراء مقارنات بين الجنسيّات الثلاث: اللبنانيّة والفلسطينيّة والسوريّة. هذه الإشكاليّة تُطرح للمرّة الأولى، على حدّ علمنا، في لبنان.

١ كُتِبت هذه المُقدّمة للكتاب الأوّل بهدف تقديم موجز عن منهجيّة الدراسة ككلّ، تكرّرت في الكتب اللاحقة من الثاني إلى الخامس، وهي مُكرّرة هنا أيضاً، باستثناء الفقرة الأخيرة التي تتحدّث عن موضوع الكتاب.

بالنظر إلى هذه الإشكاليّة، لم يكن أمامنا إلّا اختيار المسار الأصعب، ولكن الأكثر غنى في طريقة البحث. اخترنا طريقة مجموعات التركيز (focus groups)، وهي إحدى طرق البحث النوعي.

تتميّز هذه الطريقة بأنّها تتيح للمشاركين في كلّ مجموعة فرص التعبير الحرّ عن أفكارهم، والتفاعل مع أقرانهم سلباً وإيجاباً، وتغيير آرائهم، تماماً كما يحدث في الحياة العادية. يطرح مُيسِّر الجلسة سؤالاً مفتوحاً، ويدفع المشاركين إلى التفاعل مع بعضهم، من دون أنّ يأخذ موقفاً من كلامهم، لا دعماً ولا دحضاً، لأنّ كلّ كلام يقولونه مهمّ في قيمته ودلالته. إدارة الجلسة مسألة دقيقة، وتسجيل ما يقوله المشاركون مسألة صعبة، ويجب أنّ يكون المشاركون مرتاحين. لذلك حرصنا على عقد جلسات مجموعات التركيز في أمكنة اشترطنا أنّ تكون مريحة، وأنّ يديرها شخص من جنسيّة المشاركين في كلّ مجموعة ومن جنسهم، وألّا يتمّ تصوير الجلسة أو تسجيلها صوتياً، وألّا يُصرّح عن الاسم الكامل إلّا لمن يشاء. كان لكلّ جلسة «مُقرِّر» يجلس صامتاً بعد أن يعرّف عن نفسه، لا يشارك في النقاش بتاتاً، ويسجّل مجريات الجلسة خطّياً، ويكون أيضاً من جنسيّة المشاركين ومن جنسهم. طُرح في كلّ جلسة ٢٢ سؤالاً موزّعاً على ستة محاور.

تمكّن فريق البحث من تنظيم ١٤٤ مجموعة تركيز، في ٣٨ منطقة (zone) تهميش[2]، موزّعة بين الجنسيات الثلاث (٤٨ مجموعة لكلّ من اللبنانيين والفلسطينيين والسوريين)، وبين الجنسين (٧٢ مجموعة إناث و٧٢ مجموعة ذكور).

٢ هذه المناطق وفق المحافظة هي: **البقاع:** برّ الياس، عرسال.
الجنوب: القليلة-صور، المعشوق-صور، دير قانون العين-صور، صيدا القديمة-صيدا، عين الحلوة-صيدا، لوبيّة-صيدا، مخيّم البصّ- صور، مخيّم برج الشمالي-صور، صيدا، صور.
الشمال: البداوي، التبّانة، القبّة، المحمّرة، المنكوبين، الميناء، أبو سمرا، جبل البداوي، جبل محسن، حلبا، مخيّم البداوي، مخيّم البداوي-المنكوبين، مخيّم نهر البارد.
بيروت وضواحيها: الأوزاعي، الحيّ الغربي-صبرا، الخندق الغميق، الداعوق-الطريق الجديدة، برج البراجنة، برج حمود، تجمّع سعيد غواش-الطريق الجديدة، حارة حريك، حيّ السلّم، صبرا-الطريق الجديدة، الطريق الجديدة، عين الرمّانة، مخيّم شاتيلا.

وطبقاً لقواعد العمل المُقرَّرة، يكون عدد المشاركين في كلّ مجموعة ٧ كحدّ أدنى و ١٠ كحدّ أقصى، وتراوح أعمارهم بين ١٥ و٢٥ سنة. عملياً، شارك ١١٧٣ شاباً وشابّة في هذه المجموعات، موزّعين بصورة متقاربة بين الجنسيّات الثلاث وبين الجنسين، وبلغ المتوسّط الحسابي للأعمار ١٨,٧ سنة. عموماً، كان المشاركون غير متزوّجين، لكن معظم المتزوّجين الـ ١٤٠ بينهم كانوا من السوريين (١١٢)، ومعظم هؤلاء من الإناث (٧٢).

عُقِدت مجموعة التركيز الأولى في الأوّل من حزيران/ يونيو ٢٠١٩، والمجوعة الأخيرة في السابع عشر من أيلول/ سبتمبر ٢٠١٩.

بدأت بعدها مرحلة تنظيم البيانات تمهيداً لتحليلها. كانت هذه المرحلة ذات صعوبة مختلفة. أوّلاً، لأنّ هناك مادة كبيرة جُمِعت في ١٤٤ محضراً (١٩٦ ألف كلمة). وثانياً، لأنّ هناك ضرورة لتفريغ المادة المُجمَّعة وفق قاعدة واحدة تسمح بالمقارنة بين المجموعات الثلاث، والتفاعل بين الباحثين الذين أخذ كلٌّ منهم جنسيةً واحدة على عاتقه. كان استخدام برمجيّة للتحليل النوعي مُمكناً، وقد جُرِّب هذا الخيار، لكن استقرّ الرأي داخل الفريق على تفريغ البيانات على سجلات إكسيل، حيث لكلّ سؤالٍ سجلّه واصطلاحُه (code). كانت مهمّة الباحثين المساعدين القيام بهذا الأمر تحت إشراف مدير الدراسة ومتابعة أعضاء الفريق. كان يَنتُج عن عمل كلّ باحث مساعد على كلّ سؤال نحو عشر وثائق٣، يوزِّعها مدير الدراسة على كلّ من الباحثين الثلاثة، فيشرع بالمراجعة والتحليل والكتابة.

استغرقت هذه العمليّات وقتاً طويلاً جدّاً لتحضير سجّلات الإكسيل، والانتقال من هذه السجّلات إلى كتابة مسودّات تقارير عن كلّ محور، ومناقشة مسودّات التقارير بين أعضاء الفريق. إذا أجرينا الحساب الزمني لهذا العمل يتبيّن أن تحليل البيانات المُجمّعة في مجموعات التركيز بدأ في شهر تشرين الأوّل/ أكتوبر ٢٠١٩، في حين بدأت الأوراق البحثيّة بالظهور ضمن الكُتاب الأوّل في العاشر من أيار/ مايو ٢٠٢١، ولم ينتهِ نشر جميع الأوراق إلّا في أواخر العام ٢٠٢١. بالتالي، تكون مرحلة «تحليل البيانات ونشر النتائج» قد استغرقت نحو سنتين وثلاثة أشهر. في المقابل، استغرقت مرحلة جمع البيانات (العمل الميداني) أقل من ثلاثة أشهر. لكن يمكنني أنّ أقول إنّ قِصر مرحلة جمع البيانات كان ثمرة لطول المرحلة التحضيريّة، التي امتدّت من الأوّل من أيار/ مايو ٢٠١٨ حتّى الأوّل من حزيران/ يونيو ٢٠١٩ (١١ شهراً).

كتاب الحلقة الدراسيّة الذي يصدر اليوم هو السادس والأخير في سلسلة الكتب التي صدرت تباعاً في هذه السلسلة. يشكّل عرض نتائج دراسة تفاعل الشباب في المناطق المُهمّشة مع شروط عيشهم المادة الأكبر في هذه الكتب، حيث يتكرّر فيها ذكر أسماء أعضاء الفريق البحثي من حلقة إلى أخرى. باستثناء الكتاب الخامس الذي تناول المحور التعليمي، وفيه إضافة تتعلّق بالتقديمات التربويّة. وحولها ورقتان، واحدة عن دور مدراء المدارس في المناطق المُهمّشة وثانية عن دور المعلّمين فيها.

مع الوصول الى هذا الكتاب الأخير (السادس) من سلسلة الكتب عن الشباب في المناطق المُهمّشة في لبنان، والتي بلغ مجموع صفحاتها ٤٧٤ صفحات، وكانت نتيجة عمل استمرّ ٤٤ شهرا، أود أن أعرب عن تقديري وشكري للزملاء الذين رافقوني في هذا المشوار الطويل في طلعاته ونزلاته، في إنجازاته وإخفاقاته. لقد كانت حقّاً تجربة غنيّة لنا جميعاً.

كما أتوجّه بالشكر إلى الهيئة اللبنانيّة للعلوم التربويّة التي احتضنت مشروع دراسة الشباب في المناطق المُهمّشة في لبنان، ومعهد عصام فارس للسياسات العامّة والشؤون الدوليّة الذي تداول نتائج الدراسة ونشرها.

عدنان الأمين
مدير الدراسة
بيروت في ٢٥ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٢١

٣ الاصطلاح (code)، ثلاثة محاضر مُتعلّقة بالجنسيّات الثلاث منظّمة بصورة جديدة ومُحمّلة بإشارات وألوان، ثلاثة سجّلات إكسيل، ثلاثة تقارير أوليّة. والتقرير الأوّلي هو إعادة عرض وتوزيع للمادة المُجمَّعة (الشهادات) تبعاً لعناوين الاصطلاح وفئاته.

الشباب اللبناني في البيئات المُهمّشة.
اليأس من لبنان والهجرة الورديّة

ماريز يونس•

• أستاذة علم الاجتماع في الجامعة اللبنانيّة.

مُقدِّمة

يحفل تاريخ لبنان بشواهد تدلّ على تصدّر جيل الشباب عمليّات التغيير، حيث كانوا الأكثر اندفاعاً إلى الثورة والتمرّد والمقاومة ودفع أثمان التحرّر من الظلم والتبعية، وأبرز دليل على هذه النزعة مقاومة الشباب للاحتلال الإسرائيلي في لبنان.

إلّا أن المفارقة أنّ نزعة المقاومة والتمرّد لم تبرز بالزخم نفسه في محاربة فساد واستغلال وظلم النظام في لبنان، التي يُلحِقها بالشعب اللبناني عموماً، والشباب خصوصاً، ولا سيّما الشباب في البيئات المُهمّشة.

بيّنت محاور الدراسة السابقة أن نزعة تغيير النظام القائم الذي يحدُّ من طموحات الشباب اللبناني ويشوِّش عليهم مستقبلهم وأحلامهم، ليست في حسبان الشباب في البيئات المُهمّشة؛ وإلى السمة الامتثاليّة التي أظهرتها الدراسة أكان في العلاقة مع الأسرة أم الحياة المهنيّة، أظهرت أيضاً بوضوح تامّ غياب ثقافة التغيير في أذهان الشباب، وغياب الالتزام المطلوب في أي نشاط يؤسِّس لتغيير واقعهم المُهمَّش وظروفهم البائسة، لا بل على العكس، بيّنت أنّ النزعة السائدة لديهم هي الانخراط الأهلي والطائفي والعائلي وأولوية الهويّة الفئويّة في حالة التهديدات الحقيقيّة التي يشعرون بقلق منها، واستعدادهم للنزاع ضدّ الآخر في سبيلها، أي الصراع مع نظيره في المواطنيّة، وليس ضدّ السلطة التي تهدّد فعلياً مستقبله وآماله وطموحاته.

السؤال، الذي يُثيره هذا الواقع، يفتح سؤالاً آخر عن مستقبل الشباب اللبناني في البيئات المُهمّشة ونظرتهم إليه، فهل أطفأوا كلّ شرارات التغيير داخلهم، وخبّأوا أحلامهم وطموحاتهم ورغباتهم الشبابيّة تحت عباءة الراشدين، أم سيفتح التفكير بالمستقبل أمامهم مخارج لتغيير من نوع آخر؟

إذا كان من الصعب تخيّل حصول استسلام تامّ، سواء بالنسبة إلى اللبنانيين عموماً أو الشباب تحديداً، فإنّ أوّل ما يخطر في البال كبديل عن تغيير الوضع القائم هو تغيير الأفراد لموقعهم فيه ومنه. وأحد سبل هذا التغيير الذاتي هو مغادرة البلاد، أو الهجرة، أملاً بالتخلّص من الإحباط واليأس أو رغبة في تحقيق الحراك الاجتماعي خارج البلد مع أحلام بعودة «مظفرة» على حصان من الثروة والمكانة.

ينظر اللبناني إلى الهجرة بإيجابيّة مُحمّلة بالآمال والطموحات والنجاحات على عكس ما يجري في العديد من البلدان الأخرى، التي لا تحمل الهجرة لشبابها سوى أمنية النجاة من واقع استبدادي مُحبِط وميؤوس منه، وما الهجرة غير الشرعية التي يمارسها هؤلاء الشباب في السنوات الأخيرة، وما يرافقها من غرق وموت إلّا دليلاً ملموساً على اليأس الذي يستعدون للموت من أجله هرباً من واقع محبط جدّاً[١].

تتميّز الهجرة اللبنانية، عن معظم هجرات اليأس، بأربع سمات.

السمة الأولى أنّها هجرة تاريخيّة يمتدّ عمرها الزمني إلى أكثر من ١٣٠ عاماً، بحيث وُسم لبنان ببلد الهجرة باعتبارها جزءاً لا يتجزّأ من هويّته وتاريخه. وقد تحكّمت بها عوامل طرد وجذب. كانت أبرز عوامل الطرد اقتصاديّة وأمنيّة، وأبرز عوامل الجذب البلدان المضيفة وتأمينها فرص عمل وأمان وإمكانيّة تحقيق الطموحات الشخصيّة وغيرها. وفي كلّ مرحلة مفصليّة من تاريخه، من حروب وصراعات وأزمات، شكّلت الهجرة سبيلاً لأبنائه للعمل خارجاً وإرسال التحويلات إلى الأهل في لبنان.

١ Souiah, Farida (2014) Les harraga en Algérie: Émigration et contestation. Thèse de doctorat en Science politique. Paris, Institut d'études politiques, Retrieved from : https://bit.ly/3qd5I54

السمة الثانية تتعلّق بالفئات العمريّة المهاجرة. صحيح أنّ أشكال وأنماط الهجرة من لبنان تغيّرت مع الزمن، إلّا أنّ الشباب، كفئة عمريّة مُهاجرة، احتلّوا دائماً النسبة الأعلى، فضلاً عن أنّ الشباب من الخلفيّات الفقيرة لديهم ميل أعلى للهجرة[٢].

السمة الثالثة تكمن في شبكة العلاقات التي نسجها اللبناني في بلدان الاغتراب، وفي أنحاء العالم كافة حيث ينتشر، وتعود هذه الشبكة إلى طبيعة تركيبة المجتمع اللبناني الذي يتميّز بأنه مجتمع مفتوح open society، سمح للمهاجر التواصل والتحرّك والمغامرة والاحتكاك وإقامة علاقات داخليّة وخارجيّة من دون أي قيود، إذ أن معظم العائلات لديها أقرباء أو معارف في الخارج، وهو ما يسهّل ويتيح تحقيق أحلام الهجرة. تملك الهجرة اللبنانيّة جانباً بنيوياً نتيجة علاقات الأقارب مع مغتربي الخارج.

أمّا السمة الرابعة فهي النجاحات المختلفة، مهنيّة أو ماليّة أو علميّة، التي حقّقها المهاجرون اللبنانيون من كلّ البيئات، بمن فيهم شباب البيئات المُهمّشة، في بلاد الاغتراب، والذين شكّلت أخبارهم نماذج يتغنّى بها اللبنانيون، المقيمون والمغتربون، ويتناقلونها من جيل إلى آخر ما جعل الهجرة اعتياديّة، لا بل شجّع عليها عموماً من قبل الأهل والسلطة السياسيّة. لذلك، أصبحت من جهة محطّ أنظار الشباب وحلمهم في انتهاج طريق النجاح نفسه، وظاهرة اعتياديّة يتآلف معها اللبناني منذ صغره باعتبارها أمراً مرغوباً. وهذه السمة هي الأبرز من بين السمات الأربع لناحية علاقتها بموضوع هذه الدراسة.

بين التغيير السياسي المُنتظر كنزعة شبابيّة، والتغيير كخلاص فردي وأسري، يميل اللبنانيون عموماً، والشباب خصوصاً إلى الهجرة، وهذا ما تدلّ عليه إحصاءات الأمن العام اللبناني التي تشير إلى أنّ عدد جوازات السفر المُصدّرة منذ مطلع العام ٢٠٢١ ولغاية شهر آب، بلغ نحو ٢٦٠ ألف جواز سفر، مقابل نحو ١٤٢ ألف جواز سفر خلال الفترة نفسها من العام ٢٠٢٠، أي بزيادة نسبتها ٨٣ في المئة، ما يعني أن النزوع نحو الهجرة يحضر في يوميّات اللبنانيين[٣]. ويؤكد مرصد الأزمة في الجامعة الأميركيّة في بيروت أنّ لبنان دخل موجة هجرة جديدة تتمثّل بارتفاع ملحوظ في معدّلاتها، كما أكّد أحد استطلاعات الرأي في العام ٢٠٢٠، حيث يظهر أنّ ٧٧٪ من الشباب اللبناني مستعدّ للهجرة ويفكّر بها، ففي الجامعة الأميركيّة مثلاً، غادر ١٥٪ من الأساتذة البلد[٤].

أمام هذه الإشكاليّة، واقع متردٍ مأساوي وخطير يحتاج وينتظر الشباب لتغييره، وشباب يفضّل الهجرة وفرص العمل وأمنيات الترقّي في بلاد الإنتشار اللبناني، كيف ينظر الشباب اللبناني في البيئات المُهمّشة نحو مستقبله، وما هي توقّعاتهم وأمنياتهم؟[٥]

٢ Dibeh, G., Fakih, A., & Marrouch, W. (2017). Decision to Emigrate Amongst the Youth in Lebanon. IZA Institute for Labor economics, Discussion paper series, 26 pages.

٣ أنظر: طوابير جوازات السفر: تجارب مريرة للفرار من لبنان: https://bit.ly/3zrHdE4

٤ أنظر: «الهجرة الثالثة» من لبنان... أرقام مفزعة وخسارة «لا تعوض» https://arbne.ws/32NXoQ8

٥ أنظر إلى منهجيّة الدراسة في مُقدّمة هذا الكتاب

أولا: نظرة الشباب إلى المستقبل: يأس من لبنان وأمل بالهجرة

طغت النظرة السلبيّة على أحاديث الشباب اللبنانيين في المناطق المُهمّشة جواباً على السؤال الأول عن نظرتهم إلى المستقبل. حيث أنّ موقف الأكثرية في ٣٣ مجموعة من مجموعات التركيز الـ ٤٨ كان سلبياً. وتمّ التعبير عن هذا اليأس في ٢٠ منها عبر استخدام كلمات القلق والخوف والغموض، وفي ١٣ منها بقول «لا أمل بالمستقبل». أما «الأمل في المستقبل» فلم يحصل على الأكثرية إلّا في ٧ مجموعات فقط من مجموعات التركيز الـ ٤٨. وفي ما تبقى من مجموعات (٨ مجموعات) انقسمت الآراء بين النظرتين السلبيّة والإيجابيّة.

تنوّعت التعبيرات التي استخدمها الشباب في النظرة السلبيّة إلى المستقبل بين تعبيرات وجوديّة يائسة وتعبيرات ترمز إلى احتماليّة الخروج من هذا الواقع المُتأزّم، والتوقّعات كما هو معروف ترتبط ارتباطاً عضوياً بواقع الشباب المعاش. لم تكن التعبيرات غريبة عن المواطن اللبناني عموماً، والشباب تحديداً في البيئات المُهمّشة، فالتركيز على النظرة السلبيّة اتجاه المستقبل هي نتيجة متوقّعة لما يجري في لبنان في العقدين الأخيرين اللذين تفاقمت فيهما الأزمات، ثمّ انفجرت وبانت فعلياً بعد انتهاء مجريات هذا البحث، وهو ما يؤكّد على هذه الصورة القاتمة اتجاه المستقبل.

١. لبنان هو مصدر اليأس

تعدّدت أسباب النظرة السلبيّة للمستقبل لدى الشباب اللبناني، وقد استفاضوا في ذكر تلك التي بُنيت على أساسها هذه النظرة للواقع والمُرتبطة بالظروف التي تحيط بالشباب، كما بمعظم اللبنانيين، وتطال مجالات اقتصاديّة واجتماعيّة وسياسيّة وأمنيّة. اللافت أنّ تعبيرات الشباب عن كلّ مجال من هذه المجالات يسبقها استخدام صفة للتعبير عن هذا اليأس من لبنان، تكرّرت ٢٨ مرّة في ٢٠ مجموعة تركيز مثل: «لا أمل في لبنان»، «في لبنان ضاع المستقبل»، «في لبنان لا أمل في العمل»، «لبنان يعني ما في مستقبل»، «في لبنان لا أمل في الإصلاح السياسي»، «في لبنان لا مستقبل للشباب».

على الرغم من أنّ الأسباب الاقتصاديّة شكّلت الأسباب المباشرة والأكثر استحواذاً على أحاديث الشباب حيث تردّدت في ٤٦ مجموعة، إلّا أنّ التعبيرات الأكثر عمقاً وتأثيراً ودلالة على النظرة للمستقبل واليأس من الواقع المُذري الذي يعيشه الشباب كانت تعبيرات وجوديّة، وهي تشتمل على أسباب اقتصاديّة وسياسيّة واجتماعيّة وأمنيّة، لا بل تحوّلت إلى حالة وجوديّة بسبب تجذّر كلّ تلك الأسباب مُجتمعة.

أ. التعبيرات الوجوديّة: غياب الأمل

كانت أحاديث الشباب في ٢٨ مجموعة تركيز تستحضر صورة لبنان الحاضر وكأنه نقيض للمستقبل. لا بل أثار السؤال سخرية بعض الشباب وضحكهم واستهزاءهم باعتبار أنّ الجواب السلبي واضح، ولا يحتاج إلى سؤال، وأن من يطرحه يعرف ذلك، ما أدّى في بعض المجموعات إلى تهكّم مُغلّف ببعض المرارة في الحديث عن المستقبل، وأجمعت التعليقات على أنّ الوضع في لبنان هو سبب غياب الأمل والغموض والقلق معاً.

قصدت بعض المجموعات في تعبيراتها أنّ مجرّد التواجد في لبنان يعني اليأس وغياب الأمل، فقال أحد الشباب: «في لبنان ضاع مستقبل ٣ أجيال لقدام»، وقال آخر: «ما بظن رح يتغيّر شيء، ما في مستقبل بلبنان»، وعبّر أحدهم عن طموحاته بمرارة: «هون في لبنان طموحاتنا موقوفة». في الإطار نفسه، ربط شاب بين الشعور بالقلق الدائم من المستقبل وحياته في لبنان: «من يعيش في لبنان يعيش دائماً قلقاً من المستقبل»، ويتكشّف اليأس عارياً بالقول: «ليس لنا مستقبل، رح نفضل عايشين مثل ما نحنا». ويقيم أحد الشباب مقارنة بين الأمس، أي الطفولة، واليوم ليصف كيف تمّ القضاء على أحلامه: «كانت لديّ خطط للمستقبل أنا وصغير، لكن الآن حسب الوضع بدأ الأمل يتلاشى، ولم أعد متفائلاً».

تنطلق بعض التعبيرات الوجوديّة من تدهور الوضع وتفاقمه إلى الأسوأ، «الوضع يسوء على جميع الأصعدة» كما قال أحدهم. ويعبّر آخر بالقول: «لبنان في طريقه إلى أيام أسوء بكثير»، ويضيف آخر: «الناس التي على قيد الحياة تصارع للاستمرار».

نظر بعض الشباب إلى المستقبل بطريقة تهكّمية عبر المغالاة بالقول إن الوضع يتحسّن ويستقرّ: «مستقبلنا في لبنان مشرق وكلّه استقرار!»، وهذا التعليق هو أكثر تطرّفاً في اليأس والتشاؤم لأنّه يتهكّم على الوضع برمّته بدل الانتقاد المباشر.

من يُدقّق في تعبيرات الشباب أعلاه يجد أنّ اسم «لبنان» سبق كلّ تعبيراتهم عن المستقبل، وهي تعبيرات تجمعها كلّها حالة اليأس من المستقبل، وكأنّ اليأس ارتبط بلبنان وليس بمسبّبات أزماته.

ب. الأسباب الاقتصاديّة: لا أمل في مستقبل من دون عمل

عندما نستمع إلى أحاديث الشباب عن نظرتهم إلى المستقبل المهني نقدّر حجم الإحباط وانسداد الأفق أمامهم، حيث يربط أحد الشباب بين العمل والمستقبل بالقول: «إن لم يكن هناك عمل فليس هناك مستقبل».

أكثر ما يلفت في أحاديث الشباب عن المستقبل المهني هي التعبيرات التي سبقتها كلمة «أخاف» أو «أشعر بالخوف»، أو «أشعر بالقلق»، وهي مشاعر تؤشّر إلى وضع صعب جدّاً وتستحق التأمّل بها.

يتبيّن أن توقّعات الشباب المستقبليّة لا تنفصل عن الواقع الذي يعيشون فيه على المستويين المحلّي والوطني. هذا الواقع المتردّي على الأصعدة كافة جعل الشباب يعبّرون بصيغ اليأس والإحباط وعدم الأمل في تحسّن الأوضاع، ولم يقتصر اليأس على الأوضاع في لبنان بل طال لبنان نفسه، وكأنّ حدس الشباب كان صائباً لجهة توقّع الأسوأ، أي ما يعيشه المواطنون في لبنان حالياً.

الانطلاق من الواقع المتأزّم يُعبِّر عنه بعض الشباب بالقول: «الغالبية في البيوت وفي الشوارع بلا عمل بسبب الوضع المذري»، كما يقول أحد الشباب: «أشعر بخوف وقلق لأننا فقراء والوضع صعب»، ويقول آخر: «الوضع الاقتصادي للبلد بيخوّف بالأخص للمستقبل».

ويزداد القلق لدى الشباب من عدم إيجاد فرص عمل حيث يقول أحدهم: «غموض، خوف، الخوف من عدم العثور على عمل».

فقد أفضى تأزّم الأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيّة إلى بطالة واسعة، وقد أصبحت مصدر قلق حتّى بالنسبة إلى العاملين. لقد عبّر أحد الشباب العاملين بجملة عن خوفه من البطالة، التي ليست حالة فرديّة، بل باتت حالة جماعيّة تطال الشباب اللبناني، وتحضر في توقّعاته المستقبليّة، حيث يقول أحدهم: «أتوقّع أنّ أتحوّل إلى عاطل عن العمل ومقيم في القهوة كجميع الشباب في البلد».

إذن لا يقتصر الخوف والقلق من المستقبل على عدم إيجاد فرصة عمل، ولا على البطالة فقط، بل بات يؤثّر أيضاً على الذين يتابعون دراساتهم، وخوفهم من عدم الحصول على فرصة عمل، حيث يقول أحد الشباب: «أشعر بالقلق إن تابعت دراستي ولم أجد فرص عمل»، وتقول فتاة: «أنا قلقة على مستقبلي وعندي خوف أنّ أدرس وأتعب ولا آخذ حقّي في التوظيف»، وقول أخرى: «لديّ قلق حتى لا يذهب تعبي وجهدي في الدراسة دون نتيجة».

إلى النقص في فرص العمل والبطالة، يظهر أيضاً القلق من خشية الشباب المتعلّم من العمل بغير اختصاصهم ولسان حالهم يقول: «هناك خوف على مستقبلي داخل لبنان حتى ولو كنت متخرّجاً»، ويعاين آخرون المشكلة بدقّة بالقول: «أخشى أنّ اعمل بتخصّص غير التخصّص الذي درسته بسبب سوق العمل»، وبقول: «ما في أمل، حتى لو أخذت الشهادة (ما في شغل)»، أو قول شابّة: «لا أثق بمستقبلي، لماذا أتعلّم، وبماذا ستفيدني الشهادة؟»، وعلى الرغم من التعليق التهكّمي لزميلتها: «كي تعلّقيها على الحائط»، استمرّت بالدفاع عن فكرتها بالقول: «أنا أخالفك الرأي، يجب أن تدرسي وخلّي الشغل هو يبحث عنك».

هذا الحوار عن العمل والاختصاص وسوق العمل لم يقتصر على مجموعة واحدة بل طال معظم المجموعات الأخرى بلسان حال إحدى الفتيات: «أنا أخاف أن أدرس وأتعب ولا أجد شيئاً في الآخر»، وتضيف: «أنا أخي أنهى الجامعة

ولم يتوظّف (يعمل فاليه باركينغ حالياً)، أختي أيضاً درست الهندسة والآن تعمل في أحد المطاعم. يعني ما حدا عم يشتغل باختصاصه».

ذلك أنّ بعض الشباب الخرّيجين يعملون بغير اختصاصهم أو بمهن متدنّية كقول شاب: «هناك قلق، كلّ المتخرّجين يعملون بغير مجال»، «الدكتور بيشتغل بمحل ثياب»، بينما يزداد اليأس عند آخر من العلم فيقول: «الأموال التي يدفعها الشباب للجامعات من الأفضل إنشاء مشروع صغير فيها والعمل فيه»، ليعترف آخر ويقول: «أعمل الآن ولكن ليس بشهادتي»، وهناك «محامين عميشتغلو waiters». كان القلق سيّد الموقف.

العلاقة بين التعليم وسوق العمل إشكاليّة، إذ يتمّ إعداد الشباب لتلبية حاجات أسواق العمل الخارجيّة، ولا يتمّ الاهتمام بنوعيّة التعليم في المدارس العامّة ما يعقّد هذه العلاقة. عدا أنّ الاختصاصات الجامعيّة لا تُبنى على أساس دراسات واقعيّة لسوق العمل في لبنان.

على الرغم من كلّ تلك الحالات أبدى بعض الشباب خوفاً وقلقاً من أنّ عدم إيجاد فرص عمل سوف يضطرهم إلى الهجرة، وهي فكرة تدفعهم للقلق أيضاً كما عبّر أحد الشباب: «الخوف من عدم وجود عمل بعد التخرّج والاضطرار للسفر»، أو قول آخر: «أخاف من السفر للبحث عن عمل».

مع أنّ الهجرة من لبنان لدوافع شتّى تبدو مخرج خلاص من واقع متأزّم، إلّا أنّها، ولو في حالات قليلة، تبدو فعلاً يُرغم عليه بعض الشباب اللبناني.

لم تقتصر ارتدادات ترك العمل أو البطالة على العامل نفسه، بل طالت أحلام ومشاريع شباب آخرين مرتبطين بهم، فتمّ التعبير عن ذلك بمشاعر القلق والخوف تقول إحدى الفتيات: «أنا مخطوبة ومُقبلة على زواج، إذا ترك خطيبي عمله كيف سنتزوّج؟».

تشكّل الأسباب الاقتصاديّة المتأزّمة، والبطالة، ونقص فرص العمل، والعمل في مهنة غير متوافقة مع الاختصاص، دلالات مهمّة على الخوف والقلق واليأس الذي يصيب الشباب اللبناني في البيئات المُهمّشة، وسوف تكون هذه الوضعيّة كارثيّة إذا طالت، خصوصاً أنّ السنوات التي تلت إجراء هذه الدراسة تفاقمت فيها الأمور بدلاً من أن تتحسّن.

ت. مستقبل قاتم مع سياسيي لبنان

لو كانت المسألة تتعلّق بالوضع الاقتصادي وحسب، ربّما كان بإمكان الشباب أن يتفاعلوا بطريقة أخرى، ويعدّونها مرحلة عابرة وسوف تزول، إلّا أنّ الوضع المتأزّم يطال المجالات الأخرى، وتحديداً السياسيّة.

ارتبطت التعابير الأكثر استخداماً لدى الشباب عن الأزمة السياسيّة بأشخاص السياسيين، أي شخصية السياسة، وهم نادراً ما تطرّقوا إلى تعبير النظام السياسي. فقد تردّد كثيراً في أحاديثهم تعبير السياسيين، حيث تقول إحدى الفتيات: «مستقبلي لن يتحسّن إلّا بالتخلّص من السياسيين»، ويقول آخر: «لن أفكّر بالمستقبل فالسياسيين لا يفعلون شيئاً، أريد أن أسافر كي يتحسّن مستقبلي». يستعمل بعض الشباب مرادفاً آخر للتعبير عن السياسيين بالقول: «مستقبل صفر وقد يصل إلى ما دون الصفر بوجود هكذا حُكّام»، كما أنّ البعض من الشباب استخدم، في الإطار ذاته، مرادفاً ثالثاً للتعبير عن السياسيين بالقول: «إذا بقي هذا النظام وبقي نفس الزعماء فالعوض بسلامتك»، أو قول آخر: «المستقبل سيكون أسوأ من الحاضر مع وعود الزعماء الكاذبة وقت الانتخابات».

استبدل قليل من الشباب الزعماء والسياسيين والحكّام، أي استبدلوا شخصنة السياسة باستخدام مصطلح آخر يشوبه الالتباس، مثل الدولة التي يحمّلونها مسؤوليّة ضياع مستقبلهم: «أتوقّع زيادة المشاكل تعاسة لأنّ الدولة لا تعمل على حلّها»، أو قول آخر: «حياتنا مُحطّمة من الدولة»، أو «لا مستقبل في هكذا بلد لا يهتمّ بشعبه».

إنّ استخدام تعابير السياسيين والحكّام والزعماء من جهة، واستخدام تعبير الدولة من جهة أخرى، بدا في كلام الشباب استخداماً للمعنى نفسه في العمق، حيث يختزلون الدولة بالسياسيين، ولو أنّ المصطلحين مختلفين. وهذا يشير إلى عمق النقمة على الدولة والحكّام القائمين عليها في الوقت نفسه.

يحلم بعض الشباب بوعي الناس لفساد المسؤولين، إلّا أنّهم سرعان ما يبادرون إلى التعبير عن فقدان الأمل واليأس: «نتفاءل لما يوعى الشعب على فساد السياسيين، ببلدنا ما في أي أمل».

إلّا أنّ كلّ هذا الواقع المتأزّم لم يمنع قلّة من الشباب من المراهنة على سياسيين من أجل دعمهم للحصول على عمل باعتباره الوسيلة لضمان المستقبل: «في حال كنت تملك واسطة هنالك مستقبل. غير ذلك لن تستفيد شيئاً».

من اللافت أنّ الشباب في البيئات المُهمّشة الذين يعيشون فقراً وأوضاعاً اقتصادية متأزمّة لم يستخرجوا من هذه الأوضاع مواقف عامّة من أجل تغييرها. وعلى الرغم من التحرّكات والتظاهرات التي طالبت وتطالب بتغيير النظام أو رفعت مطالب معيشيّة منذ سنوات، فقد اقتصر وعي الشباب السياسي على تحميل المسؤوليّة للسياسيين، ولم يتمّ الحديث عن أي أدوار لهم مرتبطة بالانتقال إلى الالتزام والمشاركة بالتغيير كما هو دور الشباب في العالم عموماً. هل يعني واقع الشباب في البيئات المُهمّشة أنّ الفقر لا ينعكس آلياً في صناعة الاحتجاج السياسي؟ هل يتطلّب الأمر تنظيماً أو قيادياً يحمل فكراً تنويرياً كي يلعب الشباب دورهم التغييري؟

ث. الوضع الأمني: بين التهديد الأمني والتهديد الوجودي

لم تكن الأوضاع الأمنيّة سبباً لليأس، أو بالأحرى كانت التهديدات الأمنيّة قليلة كمصدر لليأس من المستقبل. اللافت أن قلّة قليلة اعتبرت التهديدات الإسرائيليّة مصدر الخوف والقلق في المستقبل، بعد أن شكّلت هذه التهديدات لدى الجيل السابق وبعض شباب هذه البيئات الخطر الأساسي، وانغرست في وعيهم وإدراكهم، وشكّلت قلقاً وعدم شعور بالأمان يلفّ حياتهم. إلّا أنّ الجيل الجديد من الشباب عاشوا مرحلة التحرير وليس الحرب، وبالتالي كانت الأزمة الداخليّة أشدّ قسوة من أي تهديدات لديهم ترتبط بالأمن. في الوقت الذي ضعف فيه التهديد الإسرائيلي اشتدّ فيه تهديد أزمة النظام الداخليّة وغير المسبوقة في تاريخ لبنان، ما دفع الشباب الحالي إلى اليأس من الوضع الراهن ولم يجد أملاً للخروج منه إلّا بالهجرة.

في ثلاث مجموعات فقط، ذُكِرت الأوضاع الأمنيّة السائدة في بلاد شهدت حروباً وتفجيرات وتوتّرات أمنية كثيرة ولافتة، وكذلك اعتداءات إسرائيليّة ترافق ذاكرة اللبنانيين. وقد وردت على كلّ حال بصور متباينة في شكلها ومصدرها. قيل مثلاً: «لا مستقبل خصوصاً أننا بتهديد دائم من اليهود». وجرى التعبير عن الخوف من الاحتلال: «احتلال فلسطين تمّ بنفس الطريقة». كما كان التأثّر بالأوضاع الأمنيّة العامّة في لبنان حاضراً: «قلق بسبب الظروف الأمنيّة» أو «الوضع سيئ ولا أشعر بالأمان».

إنّ الأحداث الأمنيّة على تنوّعها، لا تدفع الشباب إلى اليأس إلّا في حالة واحدة، وهي الشعور بأنّ الأجهزة الأمنيّة المُكلّفة بحماية الناس ضعيفة. فالدولة بقواها العسكريّة والأمنيّة هي المرجعيّة الأمنية للناس، كباراً وشباباً، وأي خلل في هذا المجال الأمني يجعل الشباب يائسين، وخصوصاً من يشعر بالتهديد.

يمكن القول أخيراً إنّ القلق والخوف واليأس هي مشاعر لا تتولّد من أزمة في مجال ما، حدثت ذات مرّة أو محصورة في جانب مُعيّن، فكل المجتمعات تشهد أزمات وتتّخذ بعدها إجراءات لتجاوز الأزمة. هذه المشاعر تتكوّن من التضافر والتراكم. ففي حال تكاثرت التهديدات وتجمّعت وتكررت، فهي بالتأكيد تلعب دوراً في توليد قناعة بالعجز عن الحماية في المجالات المهنيّة والسياسيّة والأمنيّة. ولأن أفق التغيير مسدود عموماً، فالوصول إلى حالة اليأس من لبنان والعيش فيه لدى الشباب يفتح الأفق على تفاعلات أخرى وتعبيرات مختلفة قد تتجسّد باللامبالاة والرفض، أو قد تذهب بالبعض إلى الأمل بالهجرة، التي هي نمط حياة في لبنان وليست مسألة إستثنائيّة.

٢. شباب الأمل: سلاح التعليم والعمل والحلم بالهجرة

على الرغم من كلّ الظروف والأوضاع المُتأزّمة، لا يمكن تعميم اليأس والقلق والخوف على الشباب جميعهم، فهناك أكثريات ٧ مجموعات تركيز، تفكّر بإيجابيّة ويحدوها الأمل بالمستقبل. إلّا أنّ السؤال يبقى عن ركائز هذه النظرة التفاؤليّة التي يتبنّاها هؤلاء الشباب؟

أ. الهجرة كمخرج من واقع ميؤوس منه

في مواجهة الواقع الميؤوس منه، بما فيه من خوف وقلق ويأس وغموض اتجاه المستقبل المجهول، يأتي الأمل أحياناً عن طريق الهروب من هذا الواقع. ردّد بعض الشباب ما يُعبّر عن هذا المخرج - الحلّ كأمل وطموح لمستقبل أفضل ولتحقيق نوع من الحراك الاجتماعي والانتقال من الواقع الميؤوس منه إلى واقع أفضل منه. يقول أحد الشباب: «أنا لديّ أمل بالمستقبل لكن ليس في لبنان بل خارج البلد». بالمعنى نفسه، يقول آخر: «مستقبلي مزهر ولكن خارج لبنان»، ويقول ثالث: «مستقبلي ليس بالوطن بل بالهجرة».

تصبّ كلّ هذه الملاحظات في الكشف عن مدى هشاشة الأوضاع في لبنان، وعمق التمسّك بالهجرة والقناعة الواضحة بها كمخرج من هذا الواقع.

إنّ التركيز على الهجرة بالنسبة إلى اللبناني يُعدُّ عملاً مألوفاً ومعتاداً وليس شأناً مُستهجناً، لذلك لم يكن اللجوء إليه في الحالات الطبيعيّة أمراً مستغرباً، بل هو خيار أساسي وبديهي في حال كانت الأوضاع متأزّمة جدّاً، خصوصاً لمن له أقارب في بلاد المهجر.

ب. أمل بالتعليم

شكّل التعليم، كما الهجرة، عاملاً جاذباً للبناني منذ زمن بعيد، وسعى إليه اللبنانيون عموماً، وخصوصاً الشباب منهم، باعتبار أنّ العلم قيمة، ووسيلة أساسيّة يستخدمها الشباب في البيئات المُهمّشة لتحقيق الترقّي الاجتماعي. بخلاف الكثير من المجتمعات التي يتراجع فيها الإقبال على المدارس إبّان الحروب، فإنّ الالتحاق بالمدارس والجامعات بقي يسير بشكل متصاعد حتّى إبّان الحرب الأهليّة، شاملاً الجنسين معاً، الذكور والإناث. مما لا شكّ فيه أيضاً أنّ المراهنة على التعليم في الترقّي الاجتماعي هي أكثر انتشاراً بين الإناث مقارنة بالذكور. هنا كانت الشهادات بهذا الخصوص دالة من هذه الناحية. تقول فتاة: «مستقبلنا أحسن من غيرنا، في عنا تفاؤل، نحن عم نتعلّم ونسعى للشي يلّي بدنا ياه وفي عنا إيمان فيه»، وفي الاتجاه نفسه تقول فتاة أخرى: «يجب أنّ تدرسي وخلّي الشغل هو يبحث عنك «، وتحسم شابّة أخرى الأمر بالقول: «لا أخاف لأنّني أتعلّم».

تُبرِز هذه التعليقات، وخصوصاً التعليق الأخير، كيف يتمّ تحدّي اليأس والخوف والقلق بالعلم. كان التعليم المدخل لنهضة العديد من الدول، وهو في لبنان مصدر تاريخي للأمل على الرغم من كلّ الظروف الصعبة والمتأزّمة، وقد أظهرت الدراسة أنّ ٧٠ في المئة من الشباب يتابعون التعليم.

ت. أمل مصدره التحدّي والمثابرة والروح الشبابيّة

الشباب غير متشابهين في ردود فعلهم على شروط عيشهم المتشابهة. يتنوّعون في الطبع والحوافز. يتغلّب على البعض اليأس، ويواجه البعض الآخر التحدّيات بالأمل. تقول إحدى الشابّات: «يوجد أمل، بس لازم يكون في تحدّي ونمشي خطوة خطوة»، وتقول أخرى: «أنا عندي أمل لأنّني أملك العزيمة والقدرة على الوصول». لا يختلف منطق الشباب الذكور في هذا التحدّي حيث يقول أحدهم: «سوف أحافظ على الأمل الموجود عندي عبر المثابرة والتخطيط»، ويردف آخر: «لديّ خطّة للمستقبل، لذلك لديّ أمل ومتفائل». يتبيّن من هذه التعبيرات تعويل الفتيات على مواجهة التحدّي والإمكانيّات الذاتيّة، بينما يركّز الشباب على التخطيط للنجاح في المستقبل.

أمّا البعض الآخر من الشباب فيستنجد بنزعاته التفاؤليّة وحلم التغيير، ويكتفي بالقول: «لديّ أمل وسأسعى لتحقيق أحلامي»، أو «لديّ مستقبل إن شاء الله، أنا أعمل على

تحقيق أهدافي ولا شيء سيمنعني»، وقول فتاة: «متفائلة ١٠٠٪، حابّة صير شي مهمّ في المستقبل». في هذه الحالة، يبدو الأمل والسعي إلى تحقيق الأهداف يسيران معاً.

ث. أمل بفرص عمل

من المتوقّع عادة أنّ يكون تأمين فرصة عمل مصدر أمل للشباب، إلّا أنّ عدداً قليلاً من شباب مجموعات التركيز كان مصدر أملهم بالمستقبل يتسلّح بالعمل. ركّز البعض على اكتساب الخبرة كالقول: «أعمل لشهر، حتّى ولو دون معاش، وذلك فقط لاكتساب الخبرة»، بينما أكّد آخر على تفاؤله بعمل مناسب لخبرته واختصاصه بالقول: «أرى أنّ مستقبلي يزدهر إذا كان العمل مناسباً». أصبح مصدر الأمل بالعمل حقيقة لدى فتاة انطلقت من حصولها على عمل: «تقدّمت لشركة وتمّ قبولي». في إطار الأمل بالعمل، رأت مجموعة واحدة من مجموعات التركيز أنّ الأمل بفرصة للعمل يرتبط بخروج السوريين من لبنان: «أنا لديّ بعض الأمل، إذا فلّوا السوريين يتحسّن الوضع».

بين اكتساب الخبرة، وتلاؤم العمل مع الاختصاص، والحصول على عمل، وخروج العمالة السوريّة من لبنان، تنوّعت تعبيرات الشباب بتركيزهم على العمل كمصدر أمل للبقاء في لبنان، وهو ما يؤكّد على أهمّية أنّ يحصل الشباب على مصدر للعيش أوّلاً، فضلاً عن كونه مدخلاً لتحديد هوّيته المهنيّة في المجتمع.

ج. أمل مصدره الزواج

يشكّل الزواج لدى بعض الفتيات في البيئات المُهمّشة أملاً ورهاناً أكثر من الذكور، وكأنّ الزواج بالنسبة إليهن هو مصدر خلاص من الواقع الذي يعيشون فيه، خصوصاً إذا اقترن الزواج بالإنجاب. عبّرت مجموعة واحدة عن ذلك بالقول: «متفائلة أيضاً لأنّني سأخطب شخص مستقبله جيّد كونه لاعب كرة».

ح. أمل بتحسّن الأوضاع في لبنان

تستمدّ ٣ مجموعات تركيز تفاؤلها من أمل بتحسّن الأوضاع في البلد كالقول: «أتفاءل بتحسّن وضع البلد»، أو «أتفاءل بأن يتحسّن لبنان ويعود لسابق عهده وأنّ أجد عملاً» أو «مستقبلنا في لبنان مشرق وكلّه استقرار».

تنازعت النظرة إلى المستقبل قيمتان عامّتان تجسّدتا بالتشاؤم والتفاؤل. يُعبّر عن التشاؤم باليأس والقلق والخوف والإحباط، وهو قيمة سلبيّة مُسيطرة لدى الشباب اللبناني في البيئات المُهمّشة، الذين ينطلقون من الأزمات التي يعيشونها وتحيط بأوضاعهم الاقتصاديّة عموماً، وفي مجال العمل ومستقبل العمل والأمن والاستقرار في المنطقة التي يعيشون فيها.

من اللافت في ظل هكذا أوضاع يعيشها الشباب اللبناني أنّ تجد شباباً متفائلين ولو كانوا بأعداد قليلة. يعزل المتفائلون الوضع الخاص لكلّ منهم عن السياق العام في البلاد، ويركّزون على خلاص فردي مثل متابعة التعليم والاختصاص والاعتماد على الذات، وهو ما يدعوهم للتفاؤل على الرغم من كلّ الأوضاع المتأزّمة في البلاد. إلّا أنّ الهجرة شكّلت مصدراً أساسياً للنظرة التفاؤلية لدى شباب الأمل.

ثانياً. توقّعات المستقبل: مشروع الحياة بين الداخل والخارج

كانت النظرة إلى المستقبل قاتمة، لا أمل بالمستقبل في لبنان برأي معظم الشباب، فكيف سوف تكون توقّعات الشباب انطلاقاً من هذا الواقع المتأزّم؟ وما هو مشروع الحياة لدى الشباب؟ هل سوف يكون انعكاساً لنظرتهم السلبيّة أم سوف يفتح الشباب آفاقاً لمخرج ما؟

عند قراءة نصّ كلام الشباب عن التوقّعات نميّز بين نوعين منها، يرتبط الأوّل بمشروع الحياة داخل لبنان، ويرتبط الثاني بمشروع الحياة خارج لبنان.

١. مشروع الحياة داخل لبنان: بين التوقّعات التقليديّة والشبابيّة

تنوّعت التوقّعات وطالت مجالات متنوّعة، مثل مجال العمل، والعلم، والزواج وغيرها، ويعود السبب في ذلك إلى عدم حصر السؤال بمجال مُحدّد، بحيث توزّعت بين توقّعات تقليديّة وأخرى شبابيّة. نعني بالتوقّعات التقليديّة، تلك التي تنسجم مع توقّعات البيئة الأسريّة التقليديّة للشباب في البيئات المُهمّشة اللبنانيّة، والتي لا تخرج عن خطاب الأهل السائد أو خطاب البيئة المحليّة، إنّما تؤكّد عليه وتنسجم معه، وتصبو في أماكن معيّنة إلى إعادة إنتاجه مثل توقّعات الزواج، وهي على عكس التوقّعات الشبابيّة التي تعبّر عن جيل مختلف عن جيل الأهل وخروج نوعاً ما عن البيئة المحافظة وخطاب البالغين، نجدها تعبّر عن توقّعاتهم كفئة شبابيّة غالباً ما تتميّز بتوقّعات غير مُنمّطة أو تقليديّة يلفّها شيء من الخيال والأحلام والتمرّد والإبداع والتهكّم والفرح والغموض والحرّية الفرديّة وإثبات الذات.

أ. توقّعات تقليديّة تحاكي توقّعات الأهل

تتنوّع أشكال هذه التوقّعات بين ما له علاقة بالعمل والدراسة والأسرة، وغيرها.

١. توقّعات العمل: آمال بالترقّي الاجتماعي

لم تكن توقّعات الشباب عن عملهم المستقبلي مشابهة لنظرتهم في السؤال الأوّل عن النظرة إلى المستقبل. بينما كانت الآفاق مسدودة لديهم في العثور على عمل لائق، وحيث أنّ معظمهم أعادوا أسباب اليأس من المستقبل إلى البطالة وقلّة فرص العمل، أو في أفضل الأحوال تحدّثوا عن مهن متدنّية جدّاً بنوع من التهكّم أحياناً والمرارة غالباً، نلاحظ أنّ توقّعات الشباب عن العمل في ٣٦ مجموعة كانت مرفقة ببعض الأمل، بل تضمّنت الكثير من المعاني التي تصبو إلى الترقّي الاجتماعي وتجاوز الحرمان، وشملت:

- **العمل باختصاص مُحدّد:** الفئة الأولى التي وقعت توقّعاتها في مجال العمل أثارت قضية الاختصاص كمطلب أساسي لمزاولة العمل، حيث عبّر أحدهم عن توقّعاته بقوله: «أعمل ضمن اختصاصي»، بينما حدّدت إحدى الفتيات مهنة معيّنة بقولها: «بحس رح إنجح وصير باحثة اجتماعية»، وقال آخر: «أن أنهي دراسة الطبّ وأفتح عيادة خاصّة لي». هذه الفئة كما يتبيّن هي مجموعة متعلّمة أو تتابع التعلّم، وتسعى إلى العمل ضمن الاختصاص.

- **عمل حرّ:** الفئة الثانية التي تكلمت عن العمل تصبو على حد قول أحدهم إلى «عمل حرّ»، وآخر يعود إلى التخصيص بالقول: «أنّ أصبح مدير شركة، شركة كبيرة ومحترمة»، أو قول آخر: «أنّ أفتح عملي الخاص، أفتح شركة».

- **موظّف دولة:** بينما أكّدت الفئة الثالثة على الحرّية والاستقلاليّة في «العمل الحرّ»، تؤكّد هذه الفئة على رغبتها في العمل ضمن وظيفة في سلك الدولة كقول فتاة: «أن أصبح موظّفة دولة» أو قول شاب: «الدخول إلى الجيش اللبناني، ضابط»، بينما يؤكّد شاب على وظيفة الجيش كحلم له: «أحقّق حلمي وأدخل الجيش».

- **لا عمل:** على الرغم من قلّة المجموعات التي شملتها (٣ مجموعات تركيز)، فان الفئة الرابعة كانت الأكثر تعبيرا عن اليأس الذي يحيط بالشباب، وقد أظهروه بوضوح في حديثهم عن صورة المستقبل في السؤال الأول. توقّعت هذه الفئة «اللا عمل»، أي أثارت القضية مع بعض التهكّم والمرارة كقول شاب: «أتوقّع أنّ أكون عاطلاً عن العمل»، وقول آخر: « ألا أعثر على عمل»، بينما تعبّر إحدى الفتيات عن يأسها بشيء من التناقض الذي يجمع بين التأكيد على الدراسة واستحالة إيجاد فرصة عمل ليكون مصيرها التزام المنزل: «أدرس لكن مستحيل أنّ أجد فرصة عمل فأجلس في المنزل».

- **العمل من أجل مساعدة الأهل:** الفئة الأخيرة موجودة في عدد قليل من المجموعات الثلاث، وقد أعطت أولويّة لمساعدة الأهل في أي عمل يتوقّعونه مستقبلاً كقول فتاة: «أساعد أهلي وأحقّق أحلام إخوتي»، ويقول آخر: «أن أعمل لأساعد أهلي».

اللافت تأكيد قلّة من المجموعات (مجموعتي إناث) في توقّعاتها المهنيّة على البقاء في لبنان، وعدم الرغبة بالهجرة كقول فتاة: «ببقى بلبنان وبدي اشتغل دكتورة أسنان»، وقول أخرى: «لن أغادر إلى الهجرة وسأعمل بجهد للمستقبل». وهو ما يؤكّد على أنّ الإناث أكثر ميلاً للاستقرار بخلاف معظم الذكور الذين لم نلحظ لديهم هذا التأكيد على البقاء في لبنان، كما لم يكن الاستقرار العائلي هاجسهم، والذي سيبرز بشكل أوضح في رغبة معظمهم إلى الهجرة.

تتناول ٣٦ مجموعة من مجموعات التركيز الـ ٤٨ توقّعات عن العمل، وهو ما يعني أنّ العمل أولويّة بالنسبة إلى الشباب، مهما يكن نوعه، خصوصاً في البيئات المُهمّشة. وعلى الرغم من وجود «فئة اللا عمل» كتعبير عن حالة اليأس التي يعيشها الشباب في لبنان، إلّا أنّ اقتصارها على ٣ مجموعات، مقابل غالبيّة تؤكّد على توقّع العمل في المستقبل، يعكس نظرة تفاؤليّة لا زالت لدى الشباب عن المستقبل.

لكن تبدو هذه الصورة معاكسة للصورة السلبيّة التي تكوّنت من معطيات السؤال الأوّل عن المستقبل عموماً. يعود الفرق ربما إلى أنّهم كانوا يتحدّثون عن مشاعرهم (مقارنة بآمالهم)، فيما يتحدّثون هنا عن أمور واقعيّة يتوقّعون حدوثها قريباً، بغض النظر عن رضاهم أو عدم رضاهم عنها.

يبدو الشباب هنا أنهم في حالة مزاجيّة فهم ليسوا دائماً محكومين باليأس، ففي لحظة عامّة يشعرون أنّ اليأس حليفهم، وفي لحظة أخرى يجعلهم الحديث عن مستقبل العمل متفائلين، وإنّ كان هذا التفاؤل محكوماً بسقف مُعيّن لم يتجاوزوه إلى أمنيات وأحلام غير واقعيّة، بل كانت توقّعاتهم تتأرجح بين النظرة التفاؤليّة والنظرة الواقعيّة.

٢. توقّعات باستكمال الدراسة

إنّ توقّع متابعة الدراسة واستكمالها كان من الأمور التي ينتظرها الباحث ضمن توقّعات بعض الشباب، فهي توقّعات اعتياديّة، لا سيّما أنّ الأسرة اللبنانيّة تشجّع على تعليم الأبناء في كلّ البيئات، بما فيها البيئات المُهمّشة، كأحد سبل الترقّي الاجتماعي والطريق إلى تجاوز الحرمان، وهو ما أكّده أحدهم بالقول: «أنّ أُكمِل تعليمي في لبنان وأحصل على ما أريد، أموال، سيارة».

أعطى الشباب الأولويّة لاستكمال الدراسة في ٢٠ مجموعة تركيز. إلّا أنّ هناك تفاوت يظهر من خلال الكلام العام أو المحدّد. توقّع بعض الشباب والفتيات استكمال الدراسة عموماً، كمسار يبدأ بالتعلّم وهو خطوة ضروريّة لدى الراغبين به، على أنّ تستكمل بالعمل: «إكمال دراستي ومن ثمّ العمل»، أو «أنهي دراستي وأجد عملاً». برزت الثقافة الاعتياديّة في هذا التسلسل باعتماد الشباب، من خلال التنشئة الاجتماعيّة، مساراً لم يختبروه بعد، ولكنّهم يحفظون خطواته ويقلّدون به مسار الأهل.

في مقابل التوقّعات العامّة، هناك توقّعات مُحدّدة تبرز لدى بعض الشباب، لجهة استكمال الدراسة سواء عبر متابعة اختصاصات مهنيّة مثل قول: «أتوقّع أنّ أدرس التمريض»، أو «أنّ أنهي دراسة تربية حضانة»، وقول آخر «أتوقّع أنّ أدرس الفندقيّة»، أو عبر متابعة اختصاصات عالية مرموقة كقول: «أتوقّع أنّ أنهي دراسة الطبّ وأفتح عيادة خاصّة بي»، وقول آخر: «الحصول على الدكتوراه والتعليم في الجامعة»، ويما تقول أخرى: «أحبّ أنّ أدرس حقوق أو محامية». تؤشّر هذه المتابعة للدراسة على التفاوت في توقّعات الشباب من جهة أولى لمن يتابع ومن لا يتابع الدراسة، والتفاوت بين طموحات التعليم لدى الشباب من جهة ثانية، فبين شباب توقّعوا مستقبلاً عاماً، نجد أنّ البعض الآخر كان أكثر طموحاً ودقّة في اختياره لاختصاصات مرموقة قد تؤهله لتحقيق حراكه الاجتماعي.

٣. توقّعات مُتعلّقة بالزواج: الرغبة بالاستقرار وإعادة إنتاج مسار الراشدين

تبيّن في محاور سابقة قوّة تأثير الأسرة على الشباب سواء من حيث التماسك الأسري أم التبعية أم من حيث ميلهم إلى تقمّص ثقافة الأهل على حساب ثقافتهم الشبابيّة. يتجدّد هذا التأثير في الحديث عن التوقّعات المستقبليّة، حيث أنّ الاستقرار عبر الزواج هو أولويّة لديهم، وخصوصاً بالنسبة للإناث.

شغلت توقّعات الزواج حيّزاً كبيراً من حديث الشباب في ٢٦ مجموعة تركيز وبشكل متساوي بين الذكور والإناث، أي ١٣ مجموعة لكلّ منهما. فالزواج وتأسيس أسرة هما بالنسبة للشباب في هذه البيئات المُهمّشة، وفي هذه الظروف الصعبة، خياران اعتياديان ناتجان عن التنشئة الاجتماعيّة، وقيمة مُقدّرة، وغالباً ما يحثّ الأهل أولادهم على الإقدام عليهما. كان لافتاً تفاوت توقّعات الزواج بين الذكور والإناث، إذ تعكس بعض الفتيات قناعاتهن بأهمّية الزواج كخيار أساسي في حياتهن بالتأكيد عليه بقول: «أريد الزواج وأنّ أستمرّ معه، فالزواج ليس أكل وشرب ونوم فقط»، وتقول أخرى: «أتوقّع الزواج وتأسيس عائلة»، وقد اشترطت إحداهن أنّ يكون أهلها معها ليحيطوا بها: «أتزوّج وأبني عائلة ويكونوا أهلي جنبي».

اشترطت بعض الفتيات استكمال الدراسة والتعليم والعمل قبل الزواج، وهو خيار لا يخرج عن الذهنيّة الاعتياديّة، إذ بدأت الأسرة في لبنان تُشدِّد على استكمال تعليم الفتيات قبل الزواج. في هذا الإطار، تقول إحدى الفتيات: «إكمال دراستي، ومن ثمّ العمل، وبالآخر الزواج». انطلقت بعض الفتيات من أهمّية التعليم بوصفه رأس مال بيد الفتاة قبل الزواج خوفاً من الطلاق، وهي أيضاً ذهنيّة تندرج ضمن توجّه الأهل لتمكين الفتاة علمياً ومهنياً قبل الزواج خوفاً عليها من مصير سيء في زواجها، الذي قد يكون من النوع التقليدي، أي غير المبني على حرية الاختيار والتفاهم والحبّ، فيتعامل الأهل معه مثل الحظ، إذ قد يكون موفقاً أو سيّئاً، ويجب تمكين الفتاة اتجاه هذا المستقبل المجهول، وهو ما يعكسه كلام إحدى الفتيات: «التعليم وآخر شي الزواج، ومن الشخص المناسب ليحقّق أحلامي وليس أحلامه، وإذا تطلّقت يكون معي شهادة تخوّلني العمل من دون حاجة أحد، هذا إذا لقيت أحد يتزوّجني». يبدو أن هذه الفتاة تعيش ضغطاً مضاعفاً، الأوّل هو الخوف من الطلاق، والثاني هو الخوف من عدم الزواج، ما يمثّل في حقيقته ضغط المجتمع على الفتاة في كلّ ما يرتبط بالزواج، سواء كان الإقدام عليه خوفاً من العنوسة أم نتيجة ضغوطات الطلاق ومشكلاته، وخصوصاً الصورة النمطيّة التي تضع المُطلّقة في منزلة دونيّة تلاحقها أنظار المجتمع كيفما تحرّكت.

يبرز تأثير ثقافة الأهل على الفتاة، عبر التنشئة الاجتماعيّة، أكثر وضوحاً خلال أحاديثهن عن تقسيم العمل بحسب الجنس حيث تقول إحداهن: «على زوجي أنّ يعمل، وأنا أهتم بالأطفال، هو عليه أنّ يصرف علينا وعند الحاجة لا مانع لديّ بأنّ أساعده في العمل». في المقابل، تتهكّم إحدى الفتيات على هذا التمييز الجندري في أدوار كلّ من الذكور والإناث، وتقول بسخرية ومرارة: «أتوقّع أنّ أتزوج ويكون لديّ ولدان وشهادتي في الخزانة وهمومي الطبخ والغسيل».

أمّا توقّعات الشباب الذكور حول الزواج فلم تكن بالمضامين نفسها التي شملتها تعبيرات الفتيات. بينما كشفت نقاشات الإناث في مجموعات التركيز عن قوّة الضغوط الاجتماعيّة التي تحيط بهن ربطاً بهذا الخيار، ركّز الشباب الذكور على تأمين المستقبل المادي والمهني كأولوية لتحقيق الزواج، كقول شاب: «العمل والزواج والاستقرار»، أو قول آخر: «أعمل ضمن اختصاصي وأساعد أهلي وأتزوّج». وكشفت نقاشاتهم عن ضغوط أخرى ترتبط حصراً بالإطار الاقتصادي المعيشي الذي قد يشكّل عائقاً لديه لتحقيق الزواج كقول شاب: «أشعر أنّ الزواج جدّاً صعب»، أو قول آخر: «لن أستطيع الزواج بسبب الوضع الاقتصادي المدمّر». أمّا البعض الآخر فيشكل الزواج لديهم جواز سفر لتجاوز الحرمان، ولا سيّما زواج المصلحة من أجنبيّة كقول شاب: «الهجرة والزواج من شابّة أجنبيّة وهكذا اختصر ٥ سنوات من التعب». بينما يرى بعض الذكور أنّ الزواج سوف يكون الخيار الأخير في حال فشل في تحقيق حلمه: «إذا ما حقّقت حلمي بتزوّج».

ب. توقّعات غير اعتياديّة: نزعات شبابيّة جديدة

التمييز هنا في التوقّعات غير الاعتياديّة يرتبط بالروحيّة التي تحملها مضامين تعبيرات بعض مجموعات الشباب لتوقّعاتهم اتجاه حياتهم الأسريّة والخاصّة، وهي تعبيرات شبابيّة بامتياز، تعكس نزعة جديدة لديهم يخرقون من خلالها تقاليد البيئة المحافظة التي ينتمون إليها وثقافتها الشعبيّة، وقد عبّروا عنها من خلال التوقّعات التالية:

- **زواج بلا إنجاب:** إذا كان الزواج قيمة فهو لا يقتصر بمفهوم الأهل على العلاقة بين الزوج والزوجة، فلا زواج بالنسبة لثقافتهم المحلّية والدينيّة والمجتمعيّة من دون أولاد. إلّا أنّ النية بالزواج من دون إنجاب هي من الأفكار الجديدة التي طرحتها قلّة من المجموعات في مجموعتي تركيز، والتي لم تعد تشكل عيباً اجتماعياً، أي خروجاً على السائد والاعتيادي لدى الأهل، وهذا أكثر ما يظهر روحيّة الشباب الذي يتمرّد على العادات والتقاليد. يُعبّر أحد الشباب عن هذا التفكير الجديد بالإقدام مستقبلاً على «زواج من دون إنجاب»، أو بعبارة أخرى: «أنّ أتزوّج دون أولاد». لم يكن هذا الكلام مقبولاً منذ أجيال قليلة بسبب الذهنيّة السائدة آنذاك.

- **لا زواج ولا إنجاب:** في إطار الذهنيّة الشبابيّة أيضاً هناك ٦ مجموعات أخرى توقّع فيها الشباب عدم الزواج. وهو ما يعبّر أيضاً عن خروج عن المألوف والمُتعارف عليه والاعتيادي في المجتمع اللبناني، أو على الأقل لا يجاري الثقافة التقليديّة التي تبنّتها البيئات الشعبيّة، وتؤشّر بالتأكيد على تبدّل في ذهنيّة الشباب. الزواج المقدّس سابقاً أصبح مع الشباب مدار أخذ وردّ وموضع تساؤل، لا بل موضع رفض عند بعض الإناث: «لا أريد الزواج وأريد أنّ أعيش حياتي»، وكأنّ الزواج هو أسرٌ وحجزٌ للحرّية، أو أنّ الزواج ليس مُلحّاً لأنّ الحياة الشبابيّة لها الأولويّة. أمّا بالنسبة إلى الذكور، ففي حين ارتبط رفض الزواج لدى البعض بضغوط الأوضاع الماديّة المعيشيّة: «أتوقّع ما أقدر أعمل عيلة»، كشف البعض الآخر عن قناعة ذاتيّة في رفض الزواج غير مرتبطة بالضغوط الاقتصاديّة بقدر ارتباطها بنزعة التمرّد لديه على هذا الخيار التقليدي كقول شاب: «إنّ أمّنت مستقبلي في لبنان ممكن أنّ أبقى لكنني لن أتزوّج».

تقدّم التوقّعات عن الزواج صورة واضحة عن التفاوت في ذهنيّة الشباب، حيث هناك الشباب «الناتج» عن التنشئة الأسريّة الاعتياديّة، أي حيث تكون سلطة الأهل قويّة، وتماثل الشباب بالأهل وبتجاربهم هو المُتاح عموماً. وهناك الشباب الذي يفكّر بالموضوع بطريقة مختلفة. إنّ مجرّد التفكير بعدم الزواج، أو الزواج من دون أولاد، هو كسر للثقافة التقليديّة المُرتبطة بالأهل وخروج عن المألوف والاعتيادي. هنا يكمن الجديد في التفكير الشبابي. قد تتغيّر الظروف مستقبلاً، وتتبدّل أفكار هؤلاء الشباب، لكنّهم في هذه اللحظة يتمرّدون على المؤسّسة الأسريّة ويقولون ما لا يستطيع الشباب الخاضع لها أنّ يعلنه ويعبّر عنه.

ت. شباب من دون توقّعات

من اللافت أنّ تُعبّر ١٧ مجموعة عن عدم التفكير بالمستقبل، وبالتالي عدم التوقّع. لكن لأنّه لا يمكن لأي كان إلّا أنّ يتوقّع في عمر الشباب، بشكل أو بآخر، مستقبلاً ما، فإنّ الإحجام عن التوقّع يندرج في خانة اللامبالاة أو عدم القدرة على التحديد أو الخوف من مواجهة المستقبل المتأزّم ولو بالتوقّع.

- **عدم القدرة والغموض:** أحجم بعض الشباب عن التوقّع بالقول: «لم أفكّر يوماً بالتوقّعات»، أو بالقول: «ليس لديّ جواب»، أو لفلسفة خاصّة بالشابّة: «عايشه اليوم بيومه». كذلك أحجم البعض الآخر الطامح، لا سيّما الإناث، عن التوقّع لأنّ المستقبل غامض وهناك فقدان أمل منه، بالقول: «عندي طموح لكن التوقّعات غامضة (وافقتها ثلاث رفيقات)».

- **خوف وتشاؤم:** ثمّة من يخاف من التوقّع ويقول: «ما بفكّر بالمستقبل لأني بخاف أفقد الأمل». وثمّة من لا يتوقّع لأنّه متشائم. يقول أحد الشباب: «لا أتوقّع لأني ما بتفاءل بالخير أبداً». وبالمثل قال شاب آخر: «أتوقّع أنّ أحقّق كل شيء لا أتمنّاه، يصير معي الأشياء التي لا أحبّها، والتي أريد لها أن تتحقّق». وهذا يكشف عن عمق الأزمة الذاتيّة لدى بعض الشباب، نتيجة انعكاس تأزّم الأوضاع المحيطة به على الصعد كافة.

٢. مشروع الحياة خارج لبنان: الهجرة الوردية

إذا كانت توقّعات الشباب لمشروع حياتهم داخل لبنان يغلب عليها التقبّل والخضوع للأمر الواقع على الرغم من مرارته، ويتماشى مع البيئة السائدة ورغبات الأهل، ويظهر فيها التمرّد بصورة هامشيّة، فإنّ ٣٩ مجموعة تركيز تحدّثت عن مشروع حياتها خارج لبنان أي من خلال الهجرة.

اللافت أنّ الشباب في معظم هذه المجموعات (٣٣ من ٣٩) تحدّثوا عن الهجرة باعتبارها حلماً ورديّاً، ولم يرد على لسانهم أي تعبيرات تدلّ على اليأس أو كردّة فعل على الواقع السيء، بل كانوا يتكلّمون عن مشاريع الحياة في المهجر. وهذه أبرز الصيغ التي وردت فيها الهجرة عندهم.

- **هجرة بهدف العمل:** من الطبيعي أنّ يتصدّر العمل الدافع الأساسي لهجرة الشباب، ولم يحدّد الشباب نوع العمل الذي يريدون أنّ يعملوا به في الخارج، حيث اكتفى البعض بالتعبير عن رغبة بالهجرة كأنّها تعني العمل والمستقبل والمخرج والحلّ كقول أحدهم: «سافر وأقدر إشتغل» أو «أسافر وأسعى إلى تأمين مستقبلي». قال آخرون السفر لكن اختلفت وجهتهم، فمنهم من قال أميركا ومنهم من قال كندا، وهناك شخصان قالوا السويد، ولم يحدّد الباقون الوجهة لكن السفر هو توقّعهم، مثل قول: «بحب عيش برّا وإذا صحّلي بروح دغري لأميركا».

- **هجرة مع عودة:** حدّد البعض في كلامه أنّ الهجرة مؤقّتة بهدف تجميع المال ثمّ العودة إلى لبنان كقول شاب: «العمل في الخارج بعدها أرجع إلى لبنان وأفتح (Business)»، أو هجرة بهدف التعليم، واللافت أنّ معظم من ربط الهجرة بالتعليم هم من الإناث، ويعود ذلك ربّما إلى قناعة لدى الفتاة أنّ لا إمكانيّة لها للهجرة والسفر إلى الخارج إلّا عبر التعليم باعتباره مبرّراً ومقبولاً اجتماعياً لدى البيئة المحافظة ويحوز على موافقة الأهل.

- **هجرة مع زواج:** اللافت استخدام الشباب لتعبيرات في الهجرة تضمّنت زواج المصلحة كقول شاب: «أتوقّع الهجرة وزواج المصلحة»، أو قول آخر: «أتوقّع يصبح معي فيزة عمل بروح إتزوّج عن مصلحة»، أو آخر: «الهجرة والزواج من شابّة أجنبيّة»، أو «الزواج من أجنبيّة وهكذا أختصر خمس سنوات من التعب». بطبيعة الحال، إنّ الشباب، وخصوصاً الذكور، الذين عبّروا عن زواج المصلحة من أجنبيّة يكشفون عن رغبتهم الجامحة في تحقيق الحراك الاجتماعي وتجاوز الحرمان بأقصى سرعة، وهو أمر يعود أيضاً إلى النماذج التي عرفها اللبناني عن النتائج الإيجابيّة لهذا النوع من الزواج. أمّا بعض الإناث فقد ربطن زواجهن بالعيش في الخارج في هذا الوضع المتأزّم في لبنان كقول فتاة: «أنّ أسافر مع خطيبي لتأمين دفعة بيت وأنجب طفل»، أو قول أخرى: «أرى نفسي متزوّجة خارج لبنان وإنّ كان هناك حاجة أساعده بالعمل».

- تعكس تعبيرات الذكور عن الزواج والهجرة حالة من التمييز الجندري التي يعيشونها ربطاً بأوضاعهم الصعبة، فلا يكتفي الشباب بالتفكير بالهجرة كحلّ، إنّما أيضاً يتخلّون عن حقّهم في الزواج وفقاً لخياراتهم وعواطفهم واهوائهم وقناعاتهم من أجل التغلّب على فقرهم. بينما ترى الفتاة أنّ لا سبيل لتأسيس أسرة مع من تحبّ إلّا عبر الهجرة والعمل في الخارج.

- **هجرة يأس:** وهو التعبير الأكثر انعكاساً للصورة التي ظهرت في الإجابات على السؤال الأول عن صورة المستقبل، أي اليأس المُطلق من لبنان والمستقبل فيه. كنّا نتوقّع أنّ يظهر هذا الموقف في أكثريّة المجموعات، لكنّه ظهر في ثماني مجموعات فقط (٢ لا عودة، و٦ يأس). كقول شاب: «أنا بدّي خلّص البكالوريا وسافر (بدّي هجّ)»، أو قول شاب آخر: «الهجرة بهدف العمل، لا أملك الواسطة». أمّا التوقّع الأكثر تعبيراً عن الحالة التي يعيشها الشباب ويعيها هو قول أحدهم وكأنّه يتكلّم باسم كلّ اللبنانيين: «أتوقع أنّ يهاجر كلّ اللبنانيين».

ذكرنا أنّ الهجرة في لبنان تُعتبر حلماً اعتيادياً للبناني، وهي ظاهرة كان ولا يزال يشجّع عليها النظام السياسي والأهل والحافز الذاتي لصاحب الاختصاص على أمل الترقّي المهني وتحصيل ثروة، وهي أمور غالباً لا تتوافر في بلده. انطلاقاً من هنا، لا يُعدُّ هذا التوقّع بالهجرة تعبيراً عن تمرّد الشباب على أهلهم وبيئاتهم، بل تماشياً مع توقّعات الأهل (والبيئات الفقيرة) وقيمهم وتفسيرهم لمعنى النجاح والترقّي، أي عملياً مع رغبات الأهل أيضاً. لكنّه من ناحية أخرى يدلّ على سلوك مختلف عن سلوك أقرانهم الذين يستسلمون لواقع الحال ويفقدون الأمل حتّى عن طريق الحلم، أو يواجهون ظروفهم بالعمل على تغييرها على المستوى الفردي أو على المستوى الاجتماعي. يعبّر الشباب بنزوعهم إلى الهجرة عن طموحات وآمال تخرجهم من الآفاق المسدودة التي تحدّثوا عنها والنظرة السوداويّة التي رافقتهم. في الحالتين، في لبنان أو خارجه، لا يتمرّد الشباب على بيئتهم المحافظة وتندرج توقّعاتهم ضمن الاعتياديّة. يبقى الفرق على المستوى الشخصي، حيث فضّل بعض الشباب الحلم بالتغيير على المستوى الشخصي، بينما فضّل البعض الآخر الخيار التقليدي الذي يعيد إنتاج خيارات الأهل مهما كانت قاسية اجتماعياً واقتصادياً ويتقبّلون البقاء في دائرة الفقر تحت عنوان الامتثال والقضاء والقدر، وهو ما كشفته الدراسة في أكثر من محور، خصوصاً في محور العلاقة مع الأسرة. أمّا مشروع هجرة الشباب فيعبّر عن طموحهم إلى التغيير على المستوى الشخصي وتحقيق الحراك الاجتماعي وتجاوز الحرمان تمثّلاً بنماذج عديدة في بيئتهم الفقيرة استطاعت تحقيق نجاحات كبيرة، ماديّة أم علميّة، في بلاد الاغتراب.

ثالثاً: تمنّيات الشباب: أحلام شبابيّة خارج السقف الزجاجي

إن أحاديث الشباب عن «أبرز أمنية تتمنّون لو تتحقّق في المستقبل» تختلف عن أحاديثهم عن النظرة إلى المستقبل وتوقّعاتهم المستقبليّة. سؤال الأمنيات يُحرّر الشباب من عبء الظروف والشروط الماديّة المتأزّمة، وهو أقرب إلى الطيران باعتماد الخيال. في الحقيقة تكشف الأمنيات عن أحلام الشباب في الحياة خارج الظروف التي يعيشون فيها. تكون الأحلام عادة ورديّة، أي متفائلة، وهي سمة شبابيّة عموماً، إلّا إذا كان يمرّون بظروف يائسة جدّاً تجعلهم متشائمين ومحبطين، وقد تحوّلهم من شباب المرح إلى شباب المأساة.

١. تمنيات اللهو والمرح والهوايات

في حين تمحورت توقّعات الشباب عن المستقبل حول التعليم والعمل والزواج والهجرة، وكانت بمعظمها أقرب إلى الواقع، أتت التمنيات لتكسر السقف الزجاجي للواقع المظلم وتحلّق به في فضاء مختلف، بعيداً خارج السرب، مُتحرّراً من كلّ القيود المجتمعيّة والظروف القاتمة، مُطلقاً العنان لخيالاته التي كشفت عن مزاج شبابي فيه الكثير من المرح واللهو والهوايات، وهو ما لم يُلاحظ سابقاً في أي من تعبيراته.

- **تمنّيات الشهرة:** ليس غريباً على الشباب أن تكون تمنياتهم الرياضيّة هي الأبرز، ليس لأنّها نشاط شبابي بالأساس وأقرب إلى روحيتهم وحسب، ولكن أيضاً لسببين مهمّين كشفتهما الدراسة. يرتبط الأوّل بالمشاهير الذين أصبحوا نخبة مؤثّرة Influencer على الشباب اليوم نظراً لما يخصّصه الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي لهؤلاء ليصبحوا النموذج الذي يتمنّاه الشباب. يرتبط السبب الثاني بالثروة التي يمكن تحقيقها لتجاوز الحرمان من خلال ممارسة هذه الرياضات، تشبهاً بما يحصل عليه بعض الرياضيين وخصوصاً في كرة القدم. في هذا الإطار، يقول أحد الشباب: «أتمنّى أن أصبح لاعب كرة قدم محترف». اللافت أنّ أمنيات الشباب للشهرة عبر كرة القدم تتجاوز الجغرافيا اللبنانيّة أو العربيّة، وتتخطّى الحدود إلى العالميّة تشبهاً بالمشاهير العالميين، وهو ما تكرّر على لسان الشباب مثل: «أن أسافر وألعب الفوتبول (كرة القدم) في مدريد أو فرنسا»، أو «أتمنّى أنّ أصبح لاعب كرة قدم مشهور في الدوري الإيطالي». تُعدُّ كرة القدم اللعبة الأكثر جاذبيّة للشباب، وهي إلى العوامل التي ذكرت أعلاه، أي الشهرة والثروة، تمتاز بأنّها تتطلّب شباباً راغبين باللعبة ولديهم الطاقة المطلوبة، وأهمّ ما فيها أنّها لا تتطلّب الحصول على شهادات مثلاً، وأنّ الكثير من أبطالها جاؤوا من فئات شعبيّة، وصورهم في صغرهم تظهرهم وهم يلعبون في أماكن تشبه الأماكن التي يعيش فيها شباب المناطق المُهمّشة. وهذا يجعل التماهي معهم أمراً جارفاً.

إلى كرة القدم، التي لم يذكر الشباب غيرها من الرياضات المشهورة، تمنّى شاب قائلاً: «أنّ أربح بطولة Muay Thai»، وهي لعبة فنون قتاليّة غير معروفة كثيراً، تكمن أهمّيتها بأنّ الشباب يفتّشون عن هوايات ورياضات غير متداولة لدى عموم الناس ليثبتوا بها هوّيتهم المستقلّة. ينطبق الأمر نفسه على التعلّق بلعبة fort night التي حازت على حيّز مهمّ من أحاديث الشباب، وهي لعبة شبابيّة بامتياز.

إذا كانت رياضة كرة القدم تجذب الشباب الذكور، أتت تمنيات بعض الإناث لتركّز على الشهرة من خلال الفن والتمثيل على وجه التحديد. تتمنّى إحدى الفتيات «أنّ أصبح ممثلة مشهورة»، وتتمنّى أخرى «أنّ أشتري غيتار وأصبح ممثّلة»، وثثمثّل أخرى بنموذج إعلامي وتقول: «أصبح صحافية مثل راشيل كرم»، بينما تتمنّى أخرى الشهرة من خلال مزاولة مهنة التمريض خارج لبنان: «أنّ أكون أشهر ممرّضة وأنّ أنشهر خارج لبنان».

ومن بين الأمنيات الفنيّة، تمنّى أحد الشباب أنّ «يكون لديّ مرسم، أنا أحبّ الرسم» وهي هواية فعليّة ويمكن تحقيقها في بيئات ميسورة غير مُهمّشة، ولكن في ظروف عيش الشباب في بيئات مُهمّشة فهي تتطلّب إمكانيّات ماليّة. في المقابل، قال أحد الشباب «أتمنّى أنّ أمتلك سيارة فيراري وأشقّط فيها»، وهو ما يدلّ على الثقافة الشبابيّة لجهة الاهتمام باللهو والمرح.

- **تمنّيات بالسفر:** يشكّل السفر أمنية من أمنيات شباب اللهو والمرح، لأنّ بعض شباب هذه البيئات المُهمّشة يتمنون الدوران حول العالم، أي أنّهم لم يذكروا بلداً واحداً بل يودون زيارة بلدان عديدة. كقول شاب: «أسافر وأبرم العالم»، وتمنّاه آخر: «جولة حول العالم». إلّا أنّ أكثر ما يلفت هو التمنّي الذي قاله أحد الشباب: «أنّ أدور العالم ولا أعود إلى لبنان». وهذا مؤشّر على اليأس والنقمة من الأوضاع في لبنان ومحاولة الهروب النهائي منه دون عودة. يذهب الخيال بأمنيات الشباب للسفر إلى جزر المالديف، وربّما تكون المتعة والمغامرة والتشويق والغموض في تلك الجزر هي التي تجذب من تمنّاها، كقول شاب: «لهو وسفر على المالديف».

٢. تمنّي الثروة: بين التعب وغبّ الطلب

أوّل ما يتبادر لدى الشباب للتخلّص من واقع الفقر والتهميش هو امتلاك ثروة بلحظة واحدة ومن دون تعب، في حين كانت هذه النزعة «غير الواقعيّة» شبه غائبة في تعليقاتهم على التوقّعات التي تتطلّب واقعيّة أكثر.

يقول أحدهم: «أتمنّى أنّ أمتلك ١٠ مليون دولار (فضحك الجميع)»، وتمنّى آخر: «أنّ يصير معي مصاري كتير وعيش بفيلا»، و«أصبح ملياردير»، و«إربح اللوتو وياخدوا ٢٠٪ مش تعبان فيهم»، وتمنّى شابّان آخران الأمنية نفسها: «الفوز باللوتو وأعيش حياة رفاهية».

تنتشر ذهنيّة الكسب السريع من دون تعب وجهد في البيئات الفقيرة خصوصاً، حيث ترتفع البطالة والإيمان بالحظّ، وهو مؤشّر على الرغبة الجامحة بالتخلّص من الحرمان بأقصى سرعة ومن دون بذل جهود والتعب.

٣. تمنّي الهجرة: نقطة الانطلاق لتحقيق الأمنيات كافة

رأينا كيف اختلفت أمنيات الشباب عن توقّعاتهم، وكيف كانوا يتحدّثون بلسان خيالهم لا واقعهم، فيعبّرون عن حلم قد لا يحدث ولكنّه يستمر بدغدغة خيالهم. اللافت هنا أنّ الأمنيات تكاد تتشابه مع التوقّعات في أحاديث الشباب عن الهجرة، التي تعدّ توقعاً وأمنية في الوقت نفسه عند اللبناني، بل إنّ معظم الأمنيات التي ذكرت عن الاغتناء والثروة وتحقيق الشهرة العالميّة والجولات السياحيّة تنطلق من الهجرة.

شكّلت الهجرة من لبنان قاسماً مشتركاً بين الشباب سواء في النظرة إلى المستقبل أم في التوقّعات، والآن في التمنيات التي شملت ٣٧ مجموعة تركيز، وهو ما يعني أنّ الهجرة تمثّل صورة المستقبل لدى الشباب والعامل المُشترك في إجاباتهم عن الأسئلة الثلاثة. إنّها الخيار والتوقّع والأمنية والحلم الذي يفتح كوة أمل لديهم للخروج من يأسهم وتهميشهم وحرمانهم. الهجرة ليست مسألة تاريخيّة في لبنان وحسب بل مسألة حياتيّة، فاللبناني يهتمّ بتعليم أبنائه ويشجّعهم على الهجرة لأسباب عدّة مثل التي ذُكرت أعلاه، ولتحويل الأموال من الخارج إلى الأهل. لكن مع تأزم الأوضاع واليأس من العيش في لبنان أصبحت الهجرة الطويلة والنهائيّة أملاً للشباب وخلاصاً لهم.

لن نكرّر التعبيرات نفسها التي سبق وتحدّث عنها الشباب في أحاديثهم عن توقّعات الهجرة ودوافعهم المُتعدّدة التي تكرّرت بتمنّياتهم من أجل «السفر والعمل في الخارج»، ومن أجل الدراسة «أسافر إلى نيويورك وأتخصّص في المحاماة»، والزواج «أكوّن عائلة وأسافر». سوف نكتفي ببعض العبارات التي تؤشّر على رغبة الشباب الجامحة في الهجرة والدوافع التي تجعلها أمنية، كقول إحدى الشابّات: «بتمنّى ما كون عايشة بهيك بلد». يجسّد كلام شاب آخر وجهي دوافع الهجرة الطاردة والجاذبة: «يجب أن أسافر إلى الخارج، هاجر على بلد يحترم الإنسان»، حيث يشكّل عدم احترام الإنسان في لبنان وجهاً من وجهي «عملة الهجرة»، فيما يشكّل احترام الانسان هناك وجهها الثاني. تتكرّر عبارات الهجرة كحلم لتحقيق أحلام الشباب: «أنا بحلم سافر تيتحقّق حلمي»،

ومستقبلهم: «يكون المستقبل أفضل حين أركب طائرة وأهاجر من البلد». في بعض الأحيان تضمّنت تمنيات الهجرة بعض عبارات اليأس من لبنان والرغبة بالهجرة النهائيّة كقول شاب: «أتمنّى السفر إلى فرنسا وعدم العودة إلى لبنان»، أو «أتمنّى الهجرة بأسرع وقت»، أو «أتمنّى هاجر على أي بلد».

تؤكّد تمنّيات الهجرة مجدّداً على مشروع حياة الشباب خارج لبنان، والذي يجمع بين دلالتين؛ الأولى، الهجرة كحلم ومخرج لتحقيق المستقبل خارج لبنان. والثانية، تتمثّل بيأس الشباب من بلدهم، وتمنّياتهم بالخروج منه بأسرع وقت، إلى أي وجهة كانت، وبدوافع مختلفة، ليصل اليأس لدى البعض إلى تمنّي الهجرة النهائيّة وعدم العودة إلى لبنان.

٤. تمنّي الزواج: طموح للاستقرار، وتشكيل أسرة للخير والأمان

يشكّل الزواج في الثقافة الأهليّة خطوة أساسيّة في حياة الشباب من أجل تأمين الاستقرار أوّلاً، واستمراريّة السلالة العائليّة ثانياً، عبر تكوين أسرة حيث يكون الإنجاب ضرورياً لاختبار الحياة الزوجيّة وتربية الأطفال. لذلك يندرج موضوع الزواج بين تمنّيات مجموعة مهمّة من الشباب في البيئات المُهمّشة.

لم يكن حضور الزواج في سؤال الأمنيات بحجم حضوره في سؤال التوقّعات، إنّما انحصر في ١٢ مجموعة تركيز، وتوزّع بشكل متساوٍ بين الذكور والإناث، ٦ مجموعات لكلّ منهما، لكنّه لم ينسحب تساوياً في مضامينهما. ففي حين شكّل الزواج لدى الإناث حلماً للارتباط بفتى الأحلام كقول فتاة: «أتزوّج الشخص الذي أحبّه، حينها أحقّق معه أحلامي»، وقول أخرى: «أتمنّى أنّ أبقى مع الشخص الذي أحبّه»، شكّل الهاجس الاقتصادي شرطاً لدى الذكور لتحقيق أمنية الزواج: «تحسين الوضع الاقتصادي لأكون قادراً على بناء أسرتي الخاصّة بشكل جيّد».

أيضاً إنّ الثقافة الشعبيّة اللبنانيّة تجعل تكوين الأسرة والأهل كجزء من الأمنيات أمراً متوقّعاً. التضامن الأهلي الذي لا يزال سائداً في مجتمعاتنا عموماً، وفي هذه البيئات خصوصاً، يجعل للأسرة مكانة متصدّرة كونها لا تزال تلعب دوراً مهمّاً في حياتهم. هذه التمنيات من الشباب نحو الأهل وبالعكس أيضاً، هي تمنيات اعتياديّة، وليست خاصّة بالشباب، على الرغم من أهمّيتها، ولا تعكس ذهنيّة تميّز الشباب. التمنّي الذي أدلت به شابتان في مجموعتين يختصر «بأنّ يكون أهلي بخير وسلامة»، وأبقت ثالثة المضمون نفسه مع تغيير بالصيغة لتقول: «أنّ تكون عائلتي بصحّة جيّدة». ومن التمنيات الأخرى أنّ «أشوف أهلي مبسوطين»، وتخصيص أحدهم لأحد أفراد الأسرة بتمنّي «إطالة عمر والدتي»، لينتهي التمنّي بكلام من نوع آخر: «تماسك العائلة يبقى الأهمّ».

تكشف التمنيات الأسريّة التي تراوحت بين الخير والسلامة عموماً، وبين طول عمر الوالدة باعتبارها شخصاً مهمّاً في حياة الأسرة، وصولاً إلى قيمة التماسك العائلي وهي الأهم بالنسبة لمن قالها، عن أهمّية الأسرة في حياة الشباب عموماً والإناث خصوصاً، وأعتقد أنّ السؤال نفسه لو طرح على شباب أجانب لاختلفت الإجابات بالتأكيد ولما كان الأهل في صلب التمنّيات.

من خصوصيات الوضع اللبناني، تمنّي «عودة أحد أفراد العائلة المفقودين»، وهي قضية تتعلّق بالمفقودين في الحرب اللبنانيّة، الجرح الذي لا يزال ينزف لدى الأهل، ولدى كلّ من فقد عزيزاً ولا أمل بعودته. من الأمنيات أيضاً في هذا المجال العائلي تمنّي «عودة جميع أخوتي»، وهي تمنيات اعتياديّة لدى معظم اللبنانيين الذين لديهم أقارب وأحبّة في بلاد الاغتراب.

٥. تمنيات مجتمعيّة: بين التكافل والعمل المدني

بعض الشباب في مجموعات التركيز القليلة تجاوز التمنيات الشخصيّة الخاصّة وصولاً إلى تمنيات يكون فيها فاعلاً ومؤثّراً في المجتمع وقادراً على مساعدة الآخرين. فقد تمنّى البعض أنّ «أبني مركزاً للأيتام، أفتح ميتم»، وهي أمنية ناتجة عن تعاطف مع فئة مُهمّشة من المجتمع. تتمنّى فتاة: «تقديم المساعدة للجميع وأكون ناجحة وأنّ أساعد مجتمعي». إلّا أنّ البعض الآخر انصبت تمنّياته على دور فاعل له في المجتمع، مثل أنّ يكون له «تأثير على المجتمع»، أو أنّ «يكون شخصاً فاعلاً في المجتمع».

يتبيّن أنّ تمنّيات الشباب في هذا المجال هي ترداد للثقافة الشعبيّة السائدة التي تحثّ على التكافل الاجتماعي أي المساعدة وتقديم العون للمحتاجين.

يقع في باب التكافل الاجتماعي الميل إلى تقديم الوعظ من أجل عمل الخير، بما في ذلك التوعية على الصواب. ينتقل الشباب إلى أمنيات لا تخلو من موعظة الراشدين وخطاباتهم التوعويّة كالقول: «أتمنّى أنّ تزيد نسبة الوعي عند الناس والله يهديهم»، و«أتمنّى أنّ الناس تصير تفهم وتفيق على حالها»، أو «أتمنّى أنّ ترجع نفوس الناس إلى طيبتها مثل أيّام أجدادنا، لأنّ الناس أصبحت اليوم كالأعداء».

قلّة من الشباب يعبّرون في تمنّياتهم عن القيم المواطنيّة لجهة: «تغيير المجتمع؛ مبادئ، وأعراف، ومفاهيم اجتماعيّة»، وتحقيق المساواة والاعتبار للكفاءة. من هذه القلّة، يبرز قول شاب: «تطبيق القانون بشكل مناسب» أي ضدّ الاستنسابيّة في تطبيقه، وتمنٍ آخر «بالتقدير للشخص وتحقيق المساواة». في السياق نفسه، كان لبعض الفتيات تمنّيات جندريّة الطابع. تقول إحداهن: «أمنيتي أنّ تتوقّف العنصريّة في مجتمعنا ضدّ الفتيات، والعمل بوظائف مثل القوى الأمنيّة والجيش من دون تمييز جندري». في مواجهة هذه القلّة، ثمّة قلّة مناقضة للمواطنة وتقوم على العنصرية، كقول أحدهم: «أتمنّى أنّ أصحى من نومي ولا أجد أي سوري في لبنان»، و«أنّ لا يبقى أي سوري أو فلسطيني في لبنان».

٦. تمنّيات سياسيّة: إدراك سياسي حدوده اللفظ

بسبب تنوّع التمنّيات التي تكلّم عليها الشباب كان سوف يكون مفاجئاً لو انتهى الأمر من دون تمنّيات سياسيّة. هناك ١٥ مجموعة تركيز عبّرت في تمنّياتها عن نقمتها ورفضها للسلطة السياسيّة.

من التمنّيات السياسيّة التي رصدت، قول أحدهم أنّه: «ضدّ الطبقة السياسيّة»، وتمنّي شاب آخر: «تغيير النظام السياسي وتحسين الوضع الاقتصادي»، وهو موقف سياسي أقرب إلى الموقف الأوّل لجهة عدم تحديد أي دور للشباب في عمليّة التغيير وعدم تحديد أفعال ملموسة، لكن أبدى الشباب في بعض المجموعات القليلة مواقف أكثر جذريّة حين قال أحدهم: «أتمنّى أنّ يتغيّر الوضع الاقتصادي في لبنان وأنّ يتمّ القضاء على الطبقة السياسيّة»، وتمنّى آخر الموت للسياسيين بالقول: «أتمنى الموت لجميع الرؤساء والزعماء لكي يتمّ تغييرهم»، وآخر: «لا بد من نيزك أنّ يضرب لبنان ويخلّصنا من الوضع الحالي على كافة الأصعدة». وهي تمنيات وإنّ تشابهت في مضمونها لجهة عدم تحديد أي دور للشباب أو مسؤوليّة ومشاركة، ولكن تكرار تمنّى الموت للطبقة السياسيّة والسياسيين يعبّر عن مستوى اليأس الذي يشعر به الشباب اتجاه السياسيين. هنا يستمكل الشباب التعبير عن نقمتهم اتجاه الحكّام والزعماء، التي ظهرت في البداية عند الكلام عن نظرتهم للمستقبل، ووردت تحت عنوان «مستقبل قاتم مع سياسيي لبنان».

استكملت أمنيات الشباب وكأنها أقرب إلى الدعوات، حيث يقول أحدهم: «أتمنّى أنّ تختفي كلّ الأحزاب من لبنان ويعيش الجميع بسلام وأمان ويصبح جيشنا أقوى ويعود لبنان مثلما كان». تكشف شموليّة التمنّي حيال الأحزاب عن ثقافة جيل جديد ترى الأزمة اللبنانيّة في وجود الأحزاب السياسيّة، بل تعتبرهم جميعهم في سلّة واحدة، كعنوان للفساد وسبب تدهور لبنان.

التمنّيات التي تعكس إدراك الشباب ووعيهم السياسي، انصبّت على التعمّق في أسباب الأزمة السياسيّة، مثل تمنّي «إلغاء الهويّة الطائفيّة»، والقول: «أتمنّى الدولة تسمع وتخفّف سرقة وتثبت نفسها، وانتهاء الفساد»، وهو ما تكرّر بعبارة «انتهاء الفساد». بينما يعي أحدهم أنّ لا سبيل لحقيق التغيير في لبنان إلّا عبر إنتاج نخب جديدة: «أتمنّى السلطة السياسيّة كلّها تموت، ويجي محلّها نخب جديدة ودم جديد»، ويقول آخر: «أتمنّى وجود حركة شبابيّة واعية تستطيع تغيير أحوال البلد».

في مقابل الأمنيات-الدعوات التي تكشف عن إدراك سياسي مُعيّن لدى الشباب في البيئات المُهمّشة، هناك بعض التمنّيات المؤيّدة لزعامات سياسيّة كالقول: «أنّ يبقى الرئيس بري على قيد الحياة»، بينما يتمنّى آخر ما هو أقرب إلى الاستحالة فيقول: «أتمنّى أن يعود السيّد موسى الصدر».

٧. غياب الأمنيات: شباب بلا أمنيات!

أكثر ما يلفت أنّ تجد شباباً من دون أمنيات، ولا تفسير لذلك سوى الإحباط واليأس، ما يجعلهم عاجزين حتى عن التمنّي. التعليقات المتنوّعة ولكن تؤدّي إلى المعنى نفسه هي: «لا أعلم»، «لا شيء»، «لا أتمنّى شيئاً»، وكلها تعليقات فراغيّة. تميّز أحد الشباب في إحدى المجموعات بالقول: «لا يوجد أمل، أنا غير مبالي بالمستقبل» وهو الأكثر تعبيراً ووضوحاً عن اليأس واللامبالاة.

خلاصة ونقاش

من غير المستغرب، وليس جديداً، أنّ تطغو النظرة السلبيّة ومشاعر اليأس والخوف والقلق على صورة المستقبل لدى الشباب اللبناني في البيئات المُهمّشة في ظل استمرار تدهور الأوضاع السياسيّة والاقتصاديّة. هذا أمر متوقّع، ولم يكن هدف البحث الكشف عن هذه الصورة. إلّا أنّ الملاحظة المُتمعّنة تكشف أنّ هناك مستويات داخل النظرة القاتمة نفسها للمستقبل. ففي حين برّر البعض نظرته السلبيّة بأسباب اقتصاديّة واجتماعيّة وسياسيّة وأمنيّة، بدت التعبيرات الوجوديّة أكثر عمقاً ودلالة. كأن لبنان هو محور اليأس في تعبيرات الشباب، ولم يعودوا يفرقون بين أسباب يأسهم. ثمة فرق كبير بين الظروف القائمة في البلد باعتبار أنّ لبنان يمرّ بأزمة سياسيّة واقتصاديّة تدفع الشباب إلى اليأس، وبين أنّ يتحوّل لبنان في مخيلة الشباب إلى مشكلة لا أمل منه أو من البقاء فيه، ولا مستقبل موعود فيه. كأن لبنان أصبح هو السبب في القضاء على أحلام الشباب. إنّه مؤشّر خطير على التحوّل لدى هذا الجيل الذي لم يشهد منذ ولادته انفراجات أو حلولاً كما جرت العادة لدى الأجيال السابقة، التي شهدت، على الرغم من تأزّم المراحل بين فترة وأخرى، انفراجات ومحاولات للإصلاح خصوصاً بعد الحرب.

تستمرّ هذه النزعة الوجوديّة السلبيّة وتظهر في مختلف مفاصل البحث، لا سيّما في حديث الشباب عن الهجرة في مختلف تعبيراتهم، سواء كانت هجرة يأس أم هجرة أمل أم سفر ومتعة ولهو. كانت الرغبة في ترك لبنان عارمة. بل توقّع الشباب عدم العودة إليه، وتمنّوا الهجرة منه إلى أي مكان آخر يحترم الإنسان، وتمنّوا الحصول على أي جنسيّة أخرى ولو عبر زواج المصلحة بأجنبيّة، كما الاقتداء بالمشاهير العالميين في لعبة كرة القدم للغرض نفسه. صحيح أنّ هذه التمنيات تدلّ على الروح الشبابيّة وميلهم إلى تبنّي نموذج عالمي مؤثّر في حياتهم، إلّا أنّها تعبيرات وتمنّيات تحمل في مضامينها رغبات تتجاوز الهويّة الوطنيّة إلى شيء من قبيل الهويّة العالميّة. تكشف هذه التمنّيات عن نزعة جديدة لدى الجيل الحالي لم تكن واضحة سابقاً، تؤشّر على تضاؤل مكانة لبنان في وجدان الشباب ومخيلة ووعيه وانتمائه، وتفتح السؤال على بحث آخر عن مكانة لبنان في مخيلة الشباب بعد أزماته المُتفاقمة وخصوصاً الراهنة اليوم.

أمام هذه النظرة السلبيّة القاتمة عن المستقبل، يتأرجح الشباب في البيئات المُهمّشة بين مشروعي حياة مستقبليّة: مشروع حياة داخل لبنان، ومشروع حياة خارجه.

تظهر في المشروع الأوّل ثقافة الراشدين أكثر من ثقافة الشباب، ثقافة الأسر التقليديّة والبيئة المحلّيّة المُحافظة التي تشجّع على الاستقرار الأسري والعمل والتعليم، فأتت توقّعات الشباب وأمنّياته لتتمحور حول هذه الأبعاد الثلاثة المتوافقة مع توقّعات الأهل الذين يشجّعون عليها، أكثر من توافقها مع توقّعات الشباب اليائس من مستقبله والطامح إلى التغيير. مشاعر النقمة والمرارة واليأس التي أظهرها الشباب في نظرته للمستقبل لم تدفع به إلى تبنّي توقّعات يكون فيها فاعلاً في عملية التغيير. النقمة على الواقع لم تحمل معها توقّعات الثورة عليه، بل حملت تقبّل الشباب ورضوخهم للواقع لا التمرّد عليه، لتستمر الحياة معه من خلال الاستقرار وإعادة إنتاج الأسرة والعمل والعلم. يرتبط تفسير هذا السلوك بثقافة هؤلاء الشباب في البيئات المُهمّشة في المحاور السابقة التي تمّت دراستها، وخصوصاً علاقتهم بالأسرة حيث التقبّل والامتثال والرضوخ هي قيم تغلّبت على نزعة الرفض والتمرّد على الواقع.

المشروع الثاني للحياة، لا يستوي إلّا خارج لبنان، وقد طغى على توقّعات الشباب وتمنّياتهم، وتناولوه في معظم أحاديثهم في مجموعات التركيز جواباً على الأسئلة الثلاثة التي طرحت عليهم. اندرج هذا المشروع بشكل أساسي تحت خيار الهجرة، مع بعض النزوع المتخيّل نحو السفر والاكتشاف والدوران حول العالم واللهو والمتعة. ما يجمع بين الهجرة والسفر في توقّعات الشباب وأمنياتهم هو الرغبة في ترك لبنان. بدا الشباب، إزاء مشروع الهجرة، وكأنّهم يحملون ثقافة مغايرة، ثقافة حالمة طامحة مندفعة نحو المستقبل، متحفّزين بخيالهم عن المغترب اللبناني كنموذج للنجاح في بلاد المهجر، باعتبار الهجرة هي الطريق للقضاء على الفقر وتجاوز الحرمان والسبيل للترقّي الاجتماعي وتحقيق الحراك المهني. صحيح أنّ هذه المسارات تقدّم نموذج النجاحات والإبداعات والاختراعات، لكن كان لافتاً تأكيد الشباب على الهجرة بصرف النظر عن دوافعها سواء من أجل الدراسة أو العمل أو الزواج أو اللهو أو الشهرة. بهذا المعنى هو مشروع وجودي.

إنّ استحواذ الهجرة على عقول الشباب هي سعي إلى خلاص فردي، في الوقت الذي بات فيه لبنان راهناً بحاجة إلى الكثير من شبابه الذين هاجروا للمشاركة في عمليّة تغيير الواقع المتأزّم. قد يفسّر ذلك جزئياً بما كشفته الدراسة في مختلف محاورها عن غياب ثقافة الاحتجاج السياسي لديهم، سواء عبر الإنتفاض أو الحراك أو الإنخراط في أي من أشكاله المؤسّسة للتغيير المجتمعي الذي يمكن أن يخرجهم من الخيارين، خيار الرضوخ وخيار الهروب عبر الهجرة.

في مقابل ثقافة التقبّل والامتثال والرضوخ وغياب أشكال التمرّد السياسي، يُلاحظ في أحاديث قلّة من مجموعات التركيز وجود نزعة تمرّد جديدة تجسّدت بأشكال تعبير متنوّعة، سواء كان تمرّداً ذاتياً شخصياً مثل رفض الزواج والإنجاب معاً، أو من خلال الإحجام عن التوقّع والتمنّي والتهكّم على الواقع واللامبالاة بالمستقبل. صحيح أنّ ذلك لم يصل إلى حد التمرّد في الفضاء العام، إلّا أنّ نزعات التمرّد المذكورة تؤشّر إلى ثقافة شبابيّة جديدة رافضة للوضع القائم. هي ضدّ رغبات الأهل وتوقّعاتهم، وردّة فعل على الأوضاع، ورفض مُبطّن للواقع يختلف عن الأشكال التقليديّة التي عهدناها عند شباب التغيير السياسي.

بين أحاديث الشباب عن مشروعي الحياة بين الداخل والخارج، تبرز مستويات أخرى في أحاديث بعض المجموعات عن الأمل والأحلام والتمنيات والإبداع والخيال والهوايات. ظهرت هذه المستويات عند انتقال الشباب من النظرة إلى المستقبل إلى حالة التمنّي، إذ لا يبدو الشباب يائساً كما كان في نظرته إلى المستقبل، ولم يكن واقعياً كما في حالة التوقّع، وكأننا أمام شباب آخر يحمل أنماط تفكير أخرى، فيها الكثير من الأمل، ما يدفعنا إلى استنتاج أنّ الشباب ليس يائساً بالمعنى السيكولوجي كما لو أنّه في حالة مرض وعجز على المستوى الفردي، إنّما يائس من وضع مأساوي، وبالتالي أي تغيير في هذا الوضع، أو أي جهود تبذل لإخراج الشباب منه سوف تكشف عن إرادة أخرى تحمل الكثير من الإمكانات والخيالات والقدرة على الخلق والإبداع والتغيير. هذا ما كشف الحديث عن التمنّي، وأتاح لهم التعبير بحرّية ومن دون قيود، من أي نوع كانت، عن أحلامهم وطموحاتهم، بحيث برزت الصور الزاهية أكثر من اليائسة التي أبرزتها التوقّعات.

مع أنّ التغيير ارتبط تاريخياً بالفئات المُهمّشة، يخلص البحث إلى نتيجة مختلفة. على الرغم من أنّ تأزّم الأوضاع بلغ حدّاً غير مسبوق على المستويات كافة، وصل حالياً إلى مرحلة الانهيار الكبير الذي نعيشه. لم تظهر لدى الشباب، في كلا المشروعين، مشروع الاستقرار داخل لبنان، ومشروع الهجرة والحياة خارج لبنان، أي نزعة للمشاركة في التغيير المجتمعي، بل يظهر خلفها موقف محافظ. فهجرة الشباب من لبنان تنسجم وتتوافق مع توقّعات الأهل ورغباتهم وأمنياتهم، وهم أصلاً يشجّعون عليها لتحقيق الحراك الاجتماعي لأبنائهم. المشروعان في عمقهما محافظان، تقليديان، يقومان على أنّ التغيير ينحصر بالأفراد. فإذا كانت الفرص مقفلة أمام الترقّي الاجتماعي داخل لبنان، تُحلّ المشكلة عن طريق الترقّي الاجتماعي عبر السفر والهجرة، ثمّ العودة إليه مع بطاقة اجتماعيّة جديدة. هكذا يبقى النظام القائم على حاله، ويبقى الشباب قابلين بما «كُتب» لهم مجتمعيّاً في لبنان. هذا الأمر انسحب أيضا في كلّ مفاصل الدراسة ومحاورها، فلم تظهر أي تعابير مثل الاحتجاجات والانتفاضة والحراك والمشاركة فيها.

في المقابل، كشفت الدراسة عن بدائل وابتكارات جديدة يخلقها أبناء الجيل الحالي للتفاعل مع واقعهم المُهمّش والتمرّد عليه، تظهر بالتمرّد على المستوى الشخصي أو على حياتهم الخاصّة من خلال رفض ثقافة الأهل وتقاليدهم وتوصياتهم، أو لا مبالاتهم وعدم رضاهم وتململهم وتهكّمهم على الواقع، أو من خلال اندفاعهم نحو الهجرة بأي ثمن، وطموحاتهم وأحلامهم في بلاد الاغتراب، والرغبة بالانسلاخ نهائياً عن لبنان، أو من خلال تبنّيهم قيم جديدة تخرق القيم المحلّية بمفهومها التقليدي وتتجاوزها إلى قيم عالمية. هذه التفاعلات جديدة، تحمل نزعات تمرّد غير تقليديّة تتمحور حول الذات والفرديّة والاستقلاليّة، بعيداً من التمرّد في الفضاء العام. وهو ما يستحقّ الدراسة، بحثاً عن طرق جديدة لتفاعلات الشباب في البيئات المُهمّشة مع واقعهم المأزوم في ظل انكفائهم عن المشاركة في الفضاء العام.

تخيّل الشباب لمستقبلهم في التجمّعات السوريّة

غادة جوني •

• أستاذة في التربية في الجامعة اللبنانيّة

يمثّل الشباب القوّة والحيويّة والطّاقة، والقدرة على التحمّل والإنتاج. يكون الشباب عادةً محمّلاً بالطموح والرغبة في التغيير. هدفنا من خلال هذا المحور التعرّف إلى صورة المستقبل في عيون هؤلاء الشباب. يقضي استشراف المستقبل ضرورة الوعي بأحداث الماضي القريب، وكذلك الوعي بالحاضر، وبإمكاناته، والقوى المؤثّرة فيه التي تتفاعل على أرض الواقع، وعبّر عنها الشباب، وفق ما ورد في المحاور السابقة، بأنّهم يفتقرون إلى التعليم، ويفتقدون فرص العمل، ويتقوقعون على ذاتهم، ويعانون من التسلّط داخل أسرهم، ويتعرّضون للتمييز والعنصرية، ويشعرون بالتهديد وعدم الحماية.

في موضوع المستقبل طرح على الشباب ثلاثة أسئلة: كيف تنظرون إلى مستقبلكم؟ ماذا تتوقّعون أن يحصل معكم فعلاً في المستقبل؟ ما أبرز أمنية تتمنّون لو تتحقّق في المستقبل؟[1]

أوّلاً: كيف تنظرون إلى مستقبلكم؟

تبيّن بنتيجة الدراسة أن أكثرية الشباب في عشر مجموعات فقط من أصل ٤٨ لديهم أمل، في حين أن الأكثرية ضمن ٢١ مجموعة عبّرت عن القلق والخوف والغموض. ويمكن أن نضيف إليهم ١٣ مجموعة عبّرت الأكثرية فيها عن غياب الأمل. وهو ما يدلّ بالنتيجة على أن أكثرية الشباب ليس لديهم أمل، ما يعكس الأوضاع التي عبّروا عنها فيما سبق. وإذا غضّينا النظر عن الأكثريات يتبيّن لنا أن الحديث عن الأمل جاء في ٨ مجموعات من الذكور مقابل ١٨ من الإناث.

رسم بياني رقم 1: توزّع المجموعات حسب شعور الأكثريات بالأمل بالمستقبل

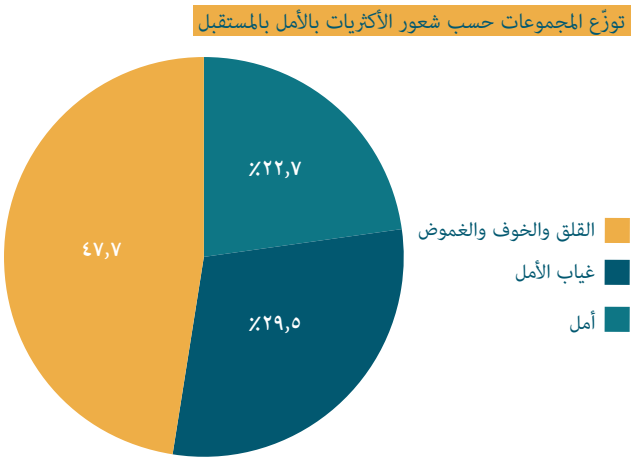

١. أسباب النظرة السلبيّة

لدى الشباب الكثير من الأسباب التي تبرر نظرتهم السلبيّة إلى المستقبل، في مقدّمها الوجود في لبنان، يليه الواقع السياسي السيء، ويأتي بعدهما غياب أو توقف التعليم إلى أسباب أخرى. (رسم بياني رقم ٢)

رسم بياني رقم 2: أسباب النظرة السلبيّة (عدد الكلمات)

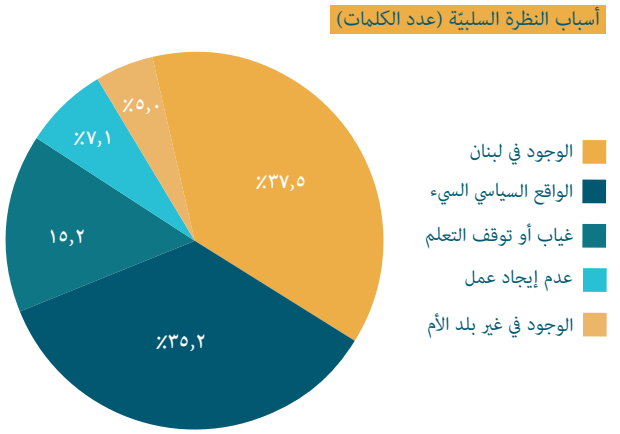

١ أنظر إلى منهجيّة الدراسة في مُقدّمة هذا الكتاب.

أ. **الوجود في لبنان:** يمثّل النزوح حركة انتقال الأشخاص من الأماكن المُهدِّدة لهم إلى أماكن أكثر أمناً وأماناً، وقد كان متوقّعاً أن يعبّر الشباب النازح عن بعض الامتنان لتواجدهم في البلد المضيف، غير أنّ التواجد في لبنان كان بحدّ ذاته السبب الأقوى لنظرتهم السلبيّة، وبحسب أحد الشباب: «ليس لدينا مستقبل خصوصاً في لبنان». هذا رأي الشابّات أيضاً وفق ما وثّقت إحدى المُقرّرات، حيث وافق الكثير من المشاركات على فكرة فقدان الأمل «لا مستقبل جيّد هنا لأننا فقط نأكل ونشرب». من وجهتهم، يؤثّر **وضع البلد العام** بشكلٍ سلبي على نظرتهم إلى المستقبل، فتشعر شابّة: «بالقلق الدائم، ليس هنالك استقرار»، ويقول شاب: «أحياناً أخاف، البلد ليس بلدي، والوضع سيء، هنالك غموض كبير». يعود السبب وراء نظرتهم السلبيّة إلى **الوضع الحالي للسوريين في لبنان**، وهذا يشكّل تخوّفاً لدى البعض منهم، تقول شابّة: «ما بقدر أتفاءل وأنا عم فكّر بالمستقبل بظل وضعنا الحالي»، والبقاء ليس مؤشّراً إيجابياً، إذ قالت إحداهن إنّها: «تخشى أنّ تبقى في حالة التشرّد مع أهلها وتسوء الأمور». لا يجد الشباب أيضاً أنّ مستقبلهم هنا، يذكر شاب: «لا يوجد مستقبل لأنّه في المخيّمات وبأوضاعنا الحالية نحن السوريين سنبقى على حالنا ولن نتطوّر».

ب. **الواقع السياسي السيء:** بالنسبة إلى بعض الشباب لا يلوح في الأفق ما يبشّر أنّ الوضع في تحسّن، يذكر شاب: «المستقبل يبدو سوداوياً وسيئاً وأسوء من الحاضر فالحصار يضيق من كلّ الجهات، بل على العكس هناك تردّي في الوضع»، يقول آخر: «المستقبل يبدو أسوأ فكلّ الأشياء إلى انحدار، ولديهم تخوّف من اندلاع حرب»، حيث أوضح أحدهم: «أنّ المستقبل مخيف إذا لم تتغيّر الظروف، وتوقّع أنّ تزيد الحروب في المنطقة». يمتدّ خوفهم ليطال مستقبل أبنائهم، إذ ذكر شاب آخر أن: «المستقبل مخيف في ظل أوضاع المنطقة وأنّه قلق على مصير أبنائه»، كما علّق أحدهم قائلاً: «الحرب دمّرت المستقبل ولم يعد هناك أمل، فالأجيال الجديدة لن تجد سوى الخراب، والشباب اليوم حُكِم عليهم بعيش حياة صعبة».

يبدو أنّ **خدمة الجيش** الإجباريّة تشكّل سبباً إضافياً لنظرتهم السلبيّة إلى المستقبل، وهنا تدخّل أحدهم قائلاً إنّه: «لا مستقبل لهم في سوريا طالما هناك خدمة جيش إجباريّة». وإنّ كان هناك من لا يجد في ذلك سبباً رئيسياً لنظرتهم السلبيّة للوضع، فكان رأي آخر معارض يقول: «ليست مشكلة أن أخدم في الجيش». ودار النقاش بين معارض وموافق على الخدمة الإجباريّة، إلّا أنّ الأكثريّة تجده سبباً يعيق نعيمهم بمستقبل واعد، ووفق أحد المقرّرين: «أجمع نصف الحاضرين على أنّ لا مستقبل طالما هناك خدمة إجباريّة».

ج. غياب أو توقف التعليم: ربط بعض الشباب المستقبل بقلّة فرصهم في التعليم واكتساب مهنة، ووفق أحدهم: «لا يوجد مستقبل في لبنان فلا نتعلّم وليس لدينا مصلحة بيدنا»، وهذا ما يؤشّر إلى مستقبل سيئ من وجهة نظرهم. يذكر أحد الشباب، «إذا بقينا هنا سوف نتحوّل إلى مجتمع جاهل بلا علم وبلا دراسة».

د. **الوضع المالي وعدم إيجاد عمل:** يؤدّي الوضع الاقتصادي السيء دوراً في تبنّي نظرة سلبيّة نحو المستقبل، تحدّث أحد الشباب عن: «مستقبلنا معدوم لأنّ ذلك مُرتبط بوضعنا المادّي». وأكمل آخر: «عندما يكون الشخص معه مصاري يكون مستقبله جيّد وفي حالتنا لا مستقبل». كما أنّ عدم إيجاد عمل يعزّز النظرة السلبيّة لديهم، تقول شابّة: «ولدي قلق من عدم إيجاد عمل».

هـ. **الوجود في غير بلد الأم:** اعتبر الشباب النازح أنّ وجودهم في الأصل خارج وطنهم يشكّل سبباً كافياً لنظرتهم السلبيّة، ذكرت شابّة: «أنظر بتشاؤم للمستقبل لأننا خارج سوريا»، وأخرى قالت: «ماذا نتوقّع من المستقبل غير ما نحن عليه فكلّ ما لدينا ذهب في سوريا»، وأيّد الشباب هذه الفكرة من خلال قولهم: «مستقبلنا في سوريا وليس هنا».

٢. أسباب النظرة الإيجابيّة

تكلّم الشباب عن أسباب نظرتهم الإيجابيّة من خلال ٢٦١ كلمة في حين أشاروا إلى الأسباب وراء نظرتهم السلبيّة ضمن ٦٠٠ كلمة. يبدو واضحاً أنّ الشابّات يحتفظن بنظرة إيجابيّة أعلى مقارنة بالشباب. يمكن البحث أكثر في الأسباب التي تكمن وراء هذه النظرة والموزّعة بين التفاؤل بالدرجة الأولى، يليها الإيمان، وتتوزّع بعد ذلك على ضرورة السعي والتفكير بالأولاد ومستقبلهم.

تفاؤل: يظهر التفاؤل من خلال رفض التشاؤم، كما في قول إحداهن: «لا أحبّ النظرة السلبيّة إلى المستقبل، أحبّ المثابرة وتحقيق الذي أريده»، ويظهر مباشرة، إذ تقول شابّة: «ننظر إلى المستقبل بأمل وتفاؤل وليس لنا إلّا أن نفعل ذلك حتى نستمرّ»، وتقول أخرى: «أنا أعارض جميع زميلاتي لأن إذا ما في أمل لا يمكننا التغلّب على القلق والخوف». كان التفاؤل أكثر ظهوراً عند الإناث من الذكور، إذ قال أحدهم إنّ: «عنده أمل بأن الفرج قادم وأن هناك أمل في المستقبل بأن تتحسّن الظروف وتعود المياه إلى مجاريها وتعود سوريا إلى سابق عهدها».

إيمان: سلّم بعضهم الأمر إلى الله ليحافظوا على نظرة إيجابيّة، تذكر شابّة: «متفائلين رغم كلّ شي والأمل بالله موجود»، ويقول شاب: «طالما عندنا أمل وإيمان بالله فلا بد أن يأتي الفرج واستشهد بآية قرآنيّة». هنا شرح شخص آخر: «المستقبل يعتمد على اليوم وكيف نحضر وكيف نتصرّف، وهل نحن مخلصون لله كي يرزقنا بأيام أفضل».

السعي: ربط البعض بين النظرة الإيجابيّة والاستمرار في السعي، قالت شابّة: «إذا تعلّمنا منيح أكيد سيصبح منيح، كل حدا تعلّم سيكون مستقبله منيح»، وتؤكّد أخرى: «إذا درست فسوف أعمل»، واعتبروا أنفسهم مسؤولين عما يصلون إليه، كما ذكرت شابّة: «كان الرأي نحن من نصنع مستقبلنا»، وأكّدن على ضرورة الجمع بين التفاؤل والسعي كي تتحقّق النتائج المرجوة، وقالوا: «لابد من وجود الأمل ولكن على المرء أنّ يسعى». وأكّدت أخرى: «أنا لديّ أمل لأنني سأسعى لكي أصل إلى هدفي ما في شيء بيجي بالهيّن».

مستقبل الأولاد: اعتبرت قلّة من الشباب أنّ مسؤوليّتهم اتجاه أبنائهم تحتّم عليهم التحلّي بنظرة إيجابيّة، قال أحدهم: «أفكّر بمستقبل أولادي»، فيما قالت شابّة: «يجب أن يتحلّى المرء بالأمل قليلاً، على الأقل من أجل أولاده»، ودائماً من منطلق المسؤوليّة، كما في قول إحداهن: «لازم الواحد يعمل شي للولاد، على الأقل يحاول».

ثانياً: ماذا تتوقّعون أن يحصل معكم فعلاً في المستقبل؟

عند الكلام عن التوقّعات المستقبليّة غلبت السوداويّة على إجابات الشباب السوريين. كنّا نظن توقّعات الشباب سوف تحلّق عالياً في فضاء الأمل، فالأمل حاجة للاستمرار، خصوصاً أنّ الشباب هم الفئة الأكثر طموحاً في العادة، ويُعوّل عليهم كثيراً كقوّة قادرة على التغيير في المجتمع والتطوير. لكن النتيجة جاءت معاكسة.

التصقت التوقّعات كثيراً بالواقع وجاءت متأثّرة به. كانت إجابات الشباب ذات طبيعة وجوديّة بالدرجة الأولى. تلتها توقّعات على الصعيد الدراسي والمهني، وجاءت التوقّعات العائليّة في المرتبة الأخيرة. يبدو أن اتجاهات الشباب تتقارب في جميع التوقّعات مع الشابّات، إلّا فيما خصّ التوقّعات الدراسيّة والمهنيّة حيث شكّل اهتمام الشابّات ضعف اهتمام الشباب، وفق ما يظهر الرسم البياني رقم ٣.

رسم بياني رقم 3: توقّعات الشباب - عدد الكلمات

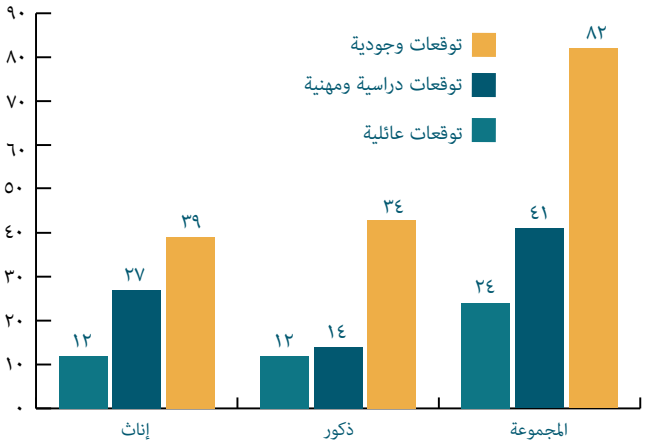

التوقّعات الوجوديّة

إن معركة البحث عن الذات وإثبات الذات والوجود هي معركة شبابيّة بامتياز، من هنا جاء أكثر كلام الشباب عن التوقّعات الوجوديّة، لكن كان ينقصها الكثير من التفاؤل والأمل في هذا الإطار. قصد الشباب من وراء التوقّعات الوجوديّة **العودة إلى الوطن** في الدرجة الأولى، تكرّر الموضوع بكثرة على لسانهم، فهي من أولى تطلّعاتهم، يقول شاب: «العودة إلى سوريا فهي أرضي وبلدي، وأهم من ذلك لا أسمع كلمة هذا سوري»، وتكرّرت مسألة العودة على لسان عدّة شبان: «العودة إلى سوريا». حضرت العودة إلى الوطن لدى الشابّات أيضاً بشكلٍ كبير، ومما ورد على لسانهن: «نريد أنّ نعود إلى سوريا بلدنا ولا نريد أي شيء».

كانت أمنيات البعض أبعد من العودة إلى وطنهم، فهم يحلمون **بالهجرة**، حيث ذكرت على لسانهم وجهات متعدّدة: «أريد الهجرة الى أي بلد خارج سوريا»، «يتوقّع أن يهاجر إلى أوروبا»، «ربما أسافر عند أختي على نيوزيلندا»، « أسافر إلى تركيا»... كذلك عبّرت الشابّات عن احتمالات الهجرة من دون وجهة مُحدّدة، كما في قولهن: «الهجرة الى أي بلد خارج سوريا»، «السفر»، أو مع وجهة مُحدّدة، تقول شابّة: «أسافر إلى السويد»، وأخرى تذكر: «أتوقع أن نهاجر إلى كندا لأننا نحاول تزبيط أوراقنا»، «يتوقّع أن يحقق حلمه بالسفر إلى ألمانيا».

بعيداً من السفر والعودة، توقّع بعض الشباب أنّ **يسوء الوضع** أكثر، تقول شابّة: «أتوقّع أنّ يتدهور وضعنا أكثر والمرحلة القادمة ستكون أسوأ»، وتقول أخرى: «في المستقبل أتوقّع إن بقيت الأمور على حالها أن نصبح مشرّدين في الشوارع!». نقل مقرّر إحدى المجموعات: « قالت غالبيّة المشاركين إنّهم يتوقّعون العودة الإجباريّة إلى سوريا، والحياة بفقر بظل الأوضاع والحصار الاقتصادي». لامست بعض التوقّعات حدوث الأسوأ على الإطلاق، حيث صدم شاب المجموعة بقوله: «الموت (عمّ الصمت في الغرفة بعد كلمته)»، وتكرّر الأمر عند شاب آخر، إذ نقل المُقرّر: «توقّعاته في المستقبل أن يكون متوفّي اندهش الجميع حتّى الميسّر وبدا ذلك على وجوه الجميع وساد الصمت في الغرفة للحظات».

حمل قلّة من الشباب توقّعات وجوديّة **إيجابيّة**، وأنّ تطرأ بعض التحسينات على حياتهم، يذكر شاب: «أتوقّع أن ينظر بإعطائنا حقوق في لبنان (تسجيل الأوراق – شراء سيّارة) تصبح أمورنا أفضل». ويذكر مُقرّر إحدى المجموعات أنّه: «اتفقت الغالبيّة على أن الوضع الاجتماعي سيتحسّن للأفضل وتتغيّر نظرة الناس لهم»، وأن يحصلوا على فرص أفضل: «أعمل ويكون لديّ اسم كبير ومعروف».

توقّعت الشابّات أيضاً حصول شيء ما جيّد معهم، والانتقال إلى مرحلة أحسن في حياتهم، تقول شابّة: «أتوقّع أن يحصل كلّ خير، لا يوجد أمر مُحدّد»، كما تذكر أخرى: «أنا متفائلة، رح يصير في حلّ وارجع على بلدي» وغيرها: «أتوقّع حياة أجمل»، ودوّنت مُقرّرة إحدى المجموعات: «كان هناك ٣ مشاركات امتلكن رأياً مختلفاً، فيه الأمل والتفاؤل على قاعدة أنّ الله كريم وسوف يبدّل الظروف للأفضل».

تبقى **الحرب** حاضرة في توقّعات الشباب والشابّات على حدٍّ سواء. انقسم الشباب على الحرب، بين أنها ستنتهي أو لا، قال أحد المشاركين: «يتوقّع أن تنتهي الحرب بسوريا وتعود الأمور تدريجياً»، فخالفه الحاضرون وقالوا إنّهم «لا يتوقّعون انتهاء الحرب»، وهذا ما ذكره أحد مُقرّري المجموعات، «أجاب الجميع: أنّهم يتوقّعون أن تنتهي الحرب ويتزوجون، إلّا شخص واحد قال إنّه يتوقّع أن يشيخ في لبنان وهو في أوضاع مزرية». أمّا عند الشابّات فقد قالت مشاركة واحدة: «توقف الحرب».

التوقّعات الدراسيّة والمهنيّة

تميّزت الشابّات بطموحهن في استكمال الدراسة والحصول على شهادات عليا. ففي قول الكثيرات بينهن: «أتوقّع أن أصبح محامية»، «أتوقّع أن أصبح مهندسة»، «أن أصبح طبيبة جراحة»، «أتوقّع أن أصبح رياضيّة». ترافقت طموحات بعضهن الدراسية مع يأس من إيجاد فرصة عمل مناسبة، كما عبّرت إحداهن: «آخذ شهادة من الجامعة وأعلّقها بالمطبخ»، واحتفظت بعضهن بالأمل، إذ تقول شابّة: « أنتهي من دراستي وأجد عملاً». كما كانت تنظر بعض الشابّات إلى التعليم المهني لما يتيحه من فرص عمل أسرع، كما في قول إحداهن: «أنجز دورات خاصّة في التزيين النسائي».

أمّا الشباب فقد كانت توقّعاتهم في هذا المجال أقل بكثير، وقد تصل إلى نصف توقّعات الشابّات، كما لم تكن الطموحات عالية ومُحدّدة إنّما جاءت عامّة جدّاً، ذكر شاب: «أكمل دراستي»، وذكر آخر: «أصبح حلّاق رجالي شاطر». كان هناك ربط بين الدراسة والعمل كما قال شاب: «إيجاد فرصة عمل أفضل»، كما نظروا إلى الدراسة على أنها تحسّن فرصهم في العودة إلى سوريا، فجاء على لسان أكثر من شاب: «أتعلّم كي أستطيع إكمال تعليمي في سوريا».

التوقّعات العائليّة

كانت حصّة التوقّعات العائليّة متشابهة في تكراراها بين الجنسين، وهي تتعلّق تحديداً بالزواج والإنجاب وبناء أسرة كأهمّ التطلّعات التي ينتظرونها على المستوى العائلي. هذا ما عبّرت عنه الشابّات ففي قول إحداهن: «الزواج يصير عندي عيلة». هذا ما انتظره الشبان، إذ ذكر واحد منهم: «الزواج وبناء عائلة»، ودوّن مُقرّر إحدى المجموعات: «أجاب الجميع أنّهم يتوقّعون أن تنتهي الحرب ويتزوّجون». لم يعبّر ذلك عن توقّعات عالية، كان انطباع الشباب أن ذلك كلّه يأتي ضمن المسار الطبيعي في الحياة، ذكرت شابّة: «إتزوّج وصير متل أمّي ما شي مميّز».

غياب التوقّع

في المقابل، غابت التوقّعات عند ٤ مجموعات من الشباب السوريين. وعبّروا عن هذا الموقف بأقوال مثل: «لا شيء، نعيش كلّ يوم بيومه»، «لا أعرف ولا أريد أنّ أعرف فأنا أعدّ الأيام فقط»، أو: «لا أحبّ أن أتوقّع ولا أتخيّل شيئاً للمستقبل». سلّم البعض أمره لله: «حسب ما الله كاتب لنا». واعتبر البعض الآخر أنّ الكلام عن المستقبل هو في غير مكانه: «ما في مستقبل لا تسألي»، أو أنّ التفكير فيه أمر مقلق، تقول شابّة: «عندما تفكّر بالمستقبل بيوجعك راسك». وثّق مُقرِّر إحدى المجموعات جوّ الشباب بقوله: «توقّعات المستقبل غامضة بالنسبة إلى المشاركين وجميعهم قالوا: لا نرى المستقبل ولا نعرف ماذا يخبئ ونخاف التفكير فيه».

غابت التوقّعات عند بعض الشباب على اعتبار أنّ «لا تغيير»، قال مشارك: «أنّه لا يتوقّع أي تغير»، وتقول مشاركة: «نبقى كما نحن ولا شيء سيتغيّر». لم يكن لديهم أمل أنّ المستقبل أجمل، ويدوّن المُقرِّر: «واتفقت الغالبية على أنّهم لا يتوقّعون أي تغيير، على الأقل ليس للأفضل»، وتقول شابّة: «لا أتوقّع أي تغيير حالياً أو في المستقبل والله يستر ما نضل لاجئين للأبد».

تفرّدت قلّة من الشباب بأفكار فريدة ومتباينة. قال أحدهم: «إنّه يتوقّع أن تقوم ثورة حقيقيّة بكلّ العالم العربي وتغيّر كلّ شيء فعلاً!». فيما قال آخر بلغة ثوريّة أيضاً: «مواجهة اللبنانيين عند العودة إلى سوريا». وأكّد آخرون على أهمّية التخطيط للمستقبل، تقول شابّة: «يمكن لازم نفكّر حتى ما نتفاجأ أو يكون عنا خطّة على الأقل شو بدنا نساوي».

ثالثاً: ما أبرز أمنية تتمنون لو تتحقّق في المستقبل؟

يشكّل الشباب الفئة الأكثر طموحاً في المجتمع، وقوّة التغيير والأمل بالمستقبل. هذا يعني أن عمليّة التغيير والتقدّم لديهم لا تقف عند حدود، فهم يضجّون بالأمنيات، من هنا حاولنا التعرّف إلى أمنيات الشباب من خلال طرح السؤال: «ما أبرز أمنية تتمنون لو تتحقّق في المستقبل؟»، جاءت بعض الأمنيات على المستوى الشخصي وأخرى على المستوى الاجتماعي وتوزّعت وفق ما يظهر في الرسم البياني رقم ٤.

رسم بياني رقم 4: توزّع الأمنيات بحسب وجودها ونوعها

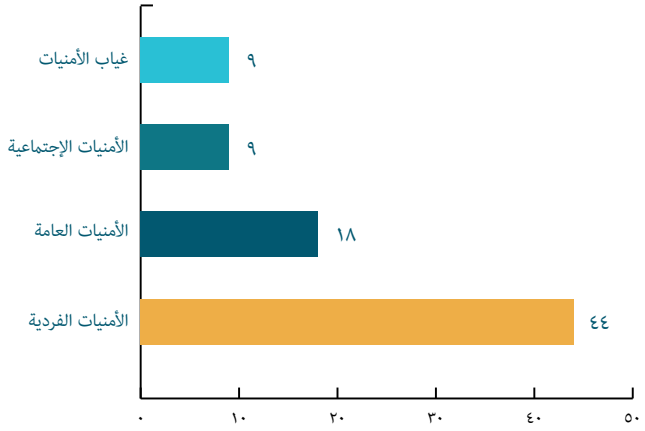

الأمنيات الفرديّة (الشخصيّة)

ردّد الشباب في ٤٤ مجموعة من أصل ٤٨ الكلام عن أمنيات على الصعيد الشخصي من دون أن يحدّها توجّه مُعيّن، لكن يمكن القول إنّها تركّزت بين الهجرة والعودة إلى الوطن في الدرجة الأولى، واستكمال الدراسة والحصول على مكانة اجتماعيّة في الدرجة الثانية، ونكون هنا أمام تكرار بعض ما جاء ضمن الكلام عن التوقّعات. حصل هذا التكرار نتيجة عدم وجود تمايز كبير بين توقّعات الشباب وأمنياتهم في هذه البيئات المُهمّشة. في الإجمال، تنوّعت أمنيات الشباب الشخصيّة بين الصحّة والزواج والفنتازيا وتقديم المساعدة. فيما يلي نقدّم بعض المشاركات التي توضح هذه الأمنيات والتطلّعات.

العودة والسفر: يحلم كثير من الشباب السوري النازح إلى لبنان بالعودة إلى سوريا، تقول شابّة: «أحلم بالعودة الى بلدي سوريا»، ويتمنى شاب: «أن تقف الحرب في سوريا ونعود إلى ديارنا». كان الشباب أكثر حماسة للعودة إلى سوريا على الرغم من الحرب، يقول شاب: «أتمنّى العودة إلى سوريا وأعيش الحرب لا مشكلة»، وآخر: «العودة إلى بلادي لكي أرى أهلي افتقدتهم كثيراً». في حين كان لدى بعض الشابّات تردّد من هذه العودة: «أنا أحبّ أن أبقى في لبنان لأنّ سوريا ليس فيها أمان»، أو «أنا أمنيتي ألّا أعود إلى سوريا، أمنيتي أن أبقى في لبنان لأنني أحبّ لبنان ولا أريد العودة إلى سوريا».

تمنّى آخرون السفر، يقول مشارك: «مستقبلي في السفر خارجاً». حدّد البعض وجهتهم، إذ تذكر شابّة: «أحلم بالسفر الى أي بلد غير عربي»، ويتشارك الشباب معهم هذه الأمنيات، كما في قول أحدهم: «يا ريت أقدر سافر إلى أوروبا».

الترقّي الاجتماعي: لدى بعضهم أماني في تحقيق نجاحات ومكانة اجتماعيّة. من آمال أحد الشاب: «امتلاك أراضي زراعيّة في قريته وأن يصبح غنياً ومقتدراً». قال شاب آخر: «كنت أتمنّى أنّ أصبح ضابطاً في الجيش في سوريا أمّا الآن فقد تلاشى حلمي ومستقبلي». بعض الشابات لديهن أمنيات متنوّعة يتمنين تحقيقها، مثل: «أن أصبح لاعبة كرة قدم وأسافر إلى باريس»، أو «أن أحقّق حلمي وأصبح مذيعة في التلفزيون»، و«أفتح صالون تزيين نسائي خاص بي». ذهبت أمنياتهن بعيداً، إذ ذكرت شابّة: «أتمنّى أن أصبح وزيرة»، وخرجت أحياناً عن المألوف، كما في قول إحداهن: «أنا أحبّ العمل المخابراتي والعسكري، أن أكون موظّفة في مخابرات الدولة، واستغرب الجميع نوع أمنيتها».

الدراسة: إكمال الدراسة كانت حلماً وأمنية لدى البعض، وعبّرت الشابّات عن ذلك بقولهن: «النجاح في الدراسة»، وتنقل عنهن مُقرِّرة إحدى المجموعات: «تحبّ الغالبية ويتمنّون الدراسة، ولكن يخافون من عدم قدرتهم على ذلك مستقبلاً». رسم الشباب أحلامهم لما بعد الدراسة، تروي شابّة: «بتمنّى أدرس اللي بحبّو، وإبني مركز للاحتياجات الخاصّة». كانت لديهم توجّهات مُحدّدة، فتتمنّى شابة قائلة: «أن أصبح محامية لأدافع عن المظلومين» وأخرى تقول: «أن أصبح ضابطة في الجيش». للشباب أمنياتهم في استكمال دراستهم، إذ كرّروا: «أصبح محامي»، وتمنّوا التميّز في مسيرتهم، يقول شاب: «أصبح مهندس وأعمالي تصبح معروفة»، وآخر: «أسافر إلى اليابان والصين لأنّ فيهم علماء».

أيضاً توزّعت بعض الأمنيات، فعلى صعيد الصحّة، تمنّوا مثلاً شفاء أحد أفراد الأسرة من المرض، تقول شابّة: «أن يشفوا أولادي من مرض التلاسيميا»، وأخرى: «أتمنى أن يشفى خالي من السرطان»، وتمنّى شاب: «أن تشفى أمّه من السرطان». عن **الحبّ والزواج وبناء أسرة:** تقول شابّة: «أتمنّى أن أجد فارس أحلامي»، وأخرى: «الإنجاب وتكوين عائلة»، وكان للشباب أحلام مماثلة لجهة تكوين عائلة، وعبّر أحدهم عن أمنيته: «أن يتزوّج ويحظى بعائلة من تكوينه». تمنّى البعض **تحقيق الشهرة**، فكان طموح بعضهم الحصول على الشهرة، من بينهم شاب يحلم قائلاً: «أقف على المسرح أغنّي راب وأصبح مشهوراً»، ويقول آخر: «أحلم بأنّ أصبح بطل ملاكمة»، ويحلم أحدهم: «أنّ يصبح شيف مشهور». وحلمت الشابّات بالشهرة أيضاً، وختمت أخرى بالقول: «أمنيتي أن أتعلّم وأعمل مشروع مستقل لي أنا وأصبح مشهورة».

كما لدى بعضهم أمنيات بالحصول على الثروة من دون أي جهد، قال شاب: «أن يربح جائزة اللوتو»، وآخر يتمنّى: «أن يجد كنزاً من الذهب»، ويذكر أحدهم: «أن أصبح غنياً»، وغيره يتمنّى أن: «يربح أموالاً طائلة حتى لا يتعرّض للذلّ طيلة حياته». كان لديهم أحلام على مستوى آخر، حيث أضاف أحدهم: «أتمنّى أن أسافر إلى جميع أنحاء العالم بجواز سفر دبلوماسي!»، وذكر شاب: «كون لوحدي بالكون على الكرة الأرضيّة». وكانت أمنية أحدهم: «أن يعود أخوه المتوفّي من جرّاء الحرب وبكى!». تطلّعت الشابّات أيضاً إلى **الراحة والأمان** من خلال تقديم بعض الأعمال الخيريّة التطوّعية وتقديم المساعدة للآخرين، فحلم شابّة هو: «العمل مع الجمعيات»، وأخرى: «المشاركة بندوات للأعمال الخيريّة».

الأمنيات العامّة

ذهبت أمنيات الشباب في ١٨ من بين ٤٨ مجموعة إلى المشاركة في الفضاء العام، فكانت أمنياتهم بالدرجة الأولى تتطلّع إلى الحصول على الأمن والسلام، وجاء بعدها الوضع المعيشي، وفي آخرها الوضع السياسي.

السلام والأمن: جاء الكلام في ١٥ مجموعة عن أمنيات تتعلّق بتوقّف الحرب، قال شاب: «أن تنتهي الحرب»، وتمنّوا أن ينعموا بالسلام والعودة الآمنة. كان الكلام كثيفاً ومفصّلاً أحياناً، ذكر أحد الشباب: «أن تقف الحرب في سوريا ونعود إلى ديارنا»، كما قال آخر: «يرجع الأمان على سوريا»، وسجّل مُقرّر إحدى المجموعات ما يأتي: «أمّا البقية فقالوا إنّ لا أمنيات شخصيّة لهم غير انتهاء الحرب وعودة سوريا كما كانت»، وتمنّوا لو تعود الأمور إلى سابق عهدها قبل الحرب، ويوضح شاب أمنيته: «عودة كلّ شيء لما كان عليه قبل الأزمة». حملت الشابّات الأمنيات نفسها، إذ تقول شابّة: «أن يعمّ السلام والأمان في سوريا وتنتهي الحرب وتعود إلى سابق عهدها». وأكّدت على مسألة استرجاع البلد أفضل ممّا كان. وذكرت أخرى: «أن يعمّ السلام والأمان في بلدي وتتعمّر أحلى ممّا كانت»، وليت الحرب لم تكن نظراً لقساوتها، حيث أضافت أخرى: «أن يعود الزمن إلى ما قبل الحرب»، فوافقتها أخرى بالقول: «أن ننسى الآلام».

الاقتصاد والمعيشة: لم تركّز أمنياتهم على تحسين أوضاعهم المعيشيّة والاقتصاديّة في مجتمع اللجوء، بل ذهبوا في أحلامهم إلى العودة، وظروف عيشهم في بلدهم، تمنّى الشباب: «عودة كلّ شيء لما كان عليه قبل الأزمة»، وحدّدوا بعض الجوانب، كما في قول أحدهم: «تعود سوريا مثلما كانت ويتحسّن الوضع الاجتماعي والمادي والصحّي»، وبناء البلد مجدداً، ففي قول آخر: «أن تعود سوريا كما كانت ونعود إليها لنبني من جديد حياتنا».

سياسيّة: على الرغم من أن المُحرِّك الأساسي لكلّ الأوضاع التي يعيشونها هو سياسي بامتياز، غير أنّ الشباب لم يقحموا أنفسهم في هذا المجال، ولا حتّى من باب الأمنيات، باستثناء قول شابّة: «الوضع السياسي يصير أفضل»، وأخرى تمنّت النصر لسوريا: «أتمنّى أن يعود كلّ المخطوفين إلى ذويهم وأن تنتصر سوريا». وتطرّقوا إلى مسألة المساواة، وجاء ذلك نتيجة المعاناة التي عاشها الشباب في بلدان اللجوء، ونظرة الناس إليهم، كان لدى البعض أمنياتهم، يذكر شاب: «تأمين المستقبل وتغيير نظرة الناس لنا»، ويذكر آخر: «أن تتحسّن الظروف وتتغيّر نظرة التفرقة بين الناس».

الأمنيات الاجتماعيّة

جاءت هذه الأمنيات في ٩ مجموعات من أصل ٤٨، وكان الكلام عنها قليلاً ومُقتضباً. حصلت سلامة العائلة **وتماسكها** على الحيّز الأكبر. تمّ التعبير عن هذه الأمنية بصور مختلفة. قال أحد الشباب: «إجتمع مع أهلي وتكون حالتنا جيّدة»، وقالت شابّة: «أتمنّى أن تتحسّن العلاقة بين أهلي والشابّ الذي أحبّه، وأن يبعد الموت عنهم»، فيما تمنّى آخر: «ما حدا يموت من العيلة، ويكون جميع أفراد العائلة بصحّة جيدة». وقال آخر: «أتمنّى أن أرى أهلي سالمين». كما تمنّوا تحسّن مستقبل أفراد العائلة، فقد لفتت شابّة: «أمنيتي أن أحسّن وضع أهلي». كما كان لدى الكثير منهم أمنيات بالحصول على أيّام أجمل برفقة عائلاتهم، كما جاء على لسان الشابّات، إذ تقول إحداهن: «أن أبقى مع زوجي وولادي»، وأخرى: «حياة حلوة أنا وزوجي وولادي معي».

كان لدى بعضهم أمنيات على المستوى الاجتماعي العام، كما في قول أحدهم: «يتمنّى أن تتغيّر عقليّة الناس في سوريا ولبنان ويتخلّوا عن الحقد».

غياب الأمنيات

تحدّث الشباب في ٩ مجموعات عن عدم وجود أمنيات لديهم، ونفوا وجود أي كلام لديهم عن هذا الأمر، وعبّر الشباب من ذكور وإناث عن الأمر بالعبارة التالية: «ليس لدي أمنيات». غابت الأمنيات أحياناً بسبب اليأس، تحدّث أحد الشباب بغصّة: «لا أعلم ماذا أقول»، فيما قال آخر: «إنّه لا يمتلك أحلاماً»، ورفض أحد المشاركين الإجابة عن هذا السؤال بقوله: «لا يوجد لديّ أمنيات» (نفس الشخص الذي توقّع الموت). هناك شخص قال: «لا أحبّ أن أتحدّث عن أمنيتي بغصّة وكان مزعوجاً».

خاتمة

في العادة بين الماضي والحاضر والمستقبل زمنٌ طويل، وبين الواقع والأمنيات والأحلام فروقات شاسعة، لكنها اجتمعت جميعها في نقطة واحدة وفق ما جاء في مشاركات الشباب السوري المُهمّش النازح إلى لبنان.

طغت النظرة السلبيّة على واقع هؤلاء الشباب، وقد يكون من المفاجئ أنّ تكون سياسات البلد المُضيف وممارسات أهله هي السبب الأوّل وراء هذه السلبيّة، بعد أنّ كانوا قد قدموا إلى لبنان لاعتباره ملجأً يحميهم. تكتّل فوقهم فقر التعليم وضياع فرص العمل، وعلى الرغم من كلّ ذلك شحنوا أنفسهم بالأمل والسعي والإيمان لأن التفاؤل أكثر من حاجة عموماً، ولا سيّما بالنسبة إلى الشباب.

خاض الشباب معركة وجودهم وعنوانها الرئيس العودة إلى سوريا، حيث توقّعوا أن تكون سوريا بانتظارهم كما تركوها، كما حملتهم توقّعاتهم بعيداً نحو الهجرة، وبقي القليل منهم في لبنان حيث اعتقدوا أن لا وطن ينتظرهم.

لم يحلّقوا بعيداً في أمنياتهم، ولم يطمعوا في مزيد من التعليم فهذه المقاعد ليست مكانهم، وضجّوا بالأمنيات الفرديّة بعد أن أضاعوا وجهتهم كشعب واحد توحّده الآمال والتطلّعات، إذ انشطرت هذه الأمنيات في كلّ الاتجاهات، وبقيت أمنياتهم القليلة المُشتركة تناشد أدنى شروط حياة الشعوب من سبل معيشيّة وأمن وسلام واستقرار.

الشباب في المُخيّمات الفلسطينيّة: ضعف الآمال بالمستقبل في مقابل الأمل في فسحة الأحلام

كمال أبو شديد•

• عميد كلية العلوم الإنسانيّة في جامعة سيّدة اللويزة

مُقدِّمة

تُجسّد نظرة الشباب نحو المستقبل تطلّعاتهم وطموحاتهم المستقبليّة سواء كانت دراسيّة أو مهنيّة أو عائليّة. هذه النظرة هي نتاج للعوامل الشخصيّة والمجتمعيّة المحيطة بها وتأثيراتها. إذا اعتبرنا أنّ السياق الاجتماعي للشباب يلعب دوراً في تكوين نظرتهم المستقبليّة، قد يتوقّع المرء اختلافات في وجهات نظرهم تبعاً لاختلاف السياقات، بحيث تتراوح نظرة الشباب بين التفاؤل والتشاؤم أو مزيج من الاثنين وفقاً للظروف المحيطة. بحسب فرضيّة أبادوراي (Appadurai, 2004)[١] فإن توزّع تطلّعات الشباب نحو المستقبل غير متساوية والفئات المُهمّشة منهم هي أقل احتمالاً للتطلّع الإيجابي نحو المستقبل بسبب أوضاع اللامساواة وسيطرة ثقافة الإقصاء الاجتماعي ضدّ هذه الفئات. بسبب وضعيّات التهميش المُزمن (Chronic marginalization) في المخيّمات الفلسطينيّة، فإنّ الشباب الفلسطينيين الذين يقيمون في مجموعات سكّانية مُهمّشة مرشّحون للتعبير عن انسداد أفق المستقبل أمامهم بحيث تأتي آرائهم بمثابة مرآة لإرث المعاناة التي يتوارثوها عن أهلهم وأجدادهم وتسيطر على تكوين رؤيتهم للمستقبل.

في المقابل، يتم التشكيك بتعميم نظرية أبادوراي بسبب عوامل اجتماعيّة في سياقات التهميش توفر الدعم للشباب في التأقلم مع المعاناة والتغلّب عليها أحياناً وتعزّز تفاؤلهم وتمنّياتهم الإيجابيّة اتجاه المستقبل. من بين هذه العوامل دعم العائلة المُمتدّة (Extended Family) والأسرة والمجتمع لهم، وخصوصاً في بيئات تسودها ثقافة الجماعة التي تسعى إلى شدّ أواصر التماسك الاجتماعي بحسب هاوكينز وماورير (Hawkins & Maurer, 2009)[٢]. تفرز هذه الوضعيّات مواقف سلبيّة وأخرى إيجابيّة في أوساط الشباب ويُستنبط منها ما يدور في وضعيّات التهميش من إحباط وحرقة ومرارة، في مقابل واحات من التفاؤل تشكّل متنفّساً لمعاناة الشباب في فسحة الأمل.

للتعرف إلى جوانب نظرة الشباب إلى المستقبل في وضعيات التهميش المُزمنة، طرحنا عليهم في مجموعات التركيز الأسئلة التالية:

كيف تنظرون إلى مستقبلكم؟

ماذا تتوقّعون أن يحصل معكم فعلاً في المستقبل؟

ما أبرز أمنية تتمنون لو تتحقّق في المستقبل؟

في محاولتنا نقل مواقف الشباب كما عبّروا عنها بلغتهم وتفاعلاتهم في مجموعات التركيز، لا يمكن غضّ النظر عن التطرّق إلى القيم الثقافيّة والسياقات الاجتماعيّة التي تكوّن نظرة الشباب نحو المستقبل وتوقّعاتهم الاجتماعيّة والثقافيّة لأدوار الجنسين المتجذّرة تقليدياً في المجتمع. أظهرت الدراسات وجود اختلافات بين الذكور والإناث في توقّعاتهم المستقبليّة المُتعلّقة بالمهن والتعليم والأسرة والزواج[٣] والهجرة والسعي إلى الأمان وغيرها، في بيئات غير آمنة تسودها الفوضى وتفلّت السلاح والعنف وانتشار ظاهرة المخدّرات، فضلاً عن الآفات الأخرى في مقدّمها الفقر الشديد وتدهور أحوال البيئة كما هو الحال في المخيّمات الفلسطينيّة. هذا ما سمعناه من الشباب أنفسهم في محاور أخرى تناولوا فيها الأحاديث عن وضعيّات التهميش التي يعيشونها أو تلك التي يختبرها آخرون، فكيف ينظر الشباب إلى مستقبلهم في وضعيّات اللامساواة؟[٤]

١ Appadurai, A. 2004. “The capacity to aspire: Culture and the terms of recognition”, in V. Rao and M. Walton (eds): Culture and public action (Stanford, CA, Stanford University Press).

٢ Hawkins RL, Maurer K. Bonding (2009). bridging and linking: how social capital operated in New Orleans following Hurricane Katrina. British Journal of Social Work, 40(6):1777–93.

٣ Francis, B. (2002). Is the future really female? The impact and implications of gender for 14–16 year olds’ career choices. Journal of Education and Work, vol. 15, no. 1, pp. 75–88.

٤ أنظر إلى منهجيّة الدراسة في مُقدِّمة هذا الكتاب

أولاً: النظرة إلى المستقبل

ضحك جماعي وسخرية، لا مبالاة وعدم اهتمام أحياناً، وأجواء من اليأس، لكن بمشاركة من الجميع. هذا ما نقلته المُيسِّرة عن تفاعل الشباب مع السؤال عن نظرتهم إلى مستقبلهم في مجموعات التركيز. كان هناك سيطرة لليأس وفقدان الأمل والقلق من مستقبل مجهول في ٧٩٪ من المجموعات. كانت مآسي الشباب واضحة في مداخلاتهم بدلالة تفاعلهم مع السؤال باستهزاء (عن أي مستقبل بتحكوا؛ مستقبلي بمحل مناقيش، ما في شي جديد أصلاً ما في مستقبل). في المقابل، فسحة الأمل لدى البعض رُبطت أحياناً بشروط ماديّة (شرط توفّر المال) أو كانت متأرجحة بين طرفي المقياس الإيجابي والسلبي، مثلاً «الوضع الحالي سيء ولكن أنا أتأمل في التحسّن في المستقبل...» (شابّة، مخيّم نهر البارد). كما برز مفهوم الأمل السلبي في أحاديث الشباب بدلالة استخدامهم عبارات مثل الأمل موجود لكن في الخارج، في إشارة إلى عدم وجوده في بيئتهم في لبنان. يشير الرسم البياني رقم ١ إلى توزّع المجموعات بحسب اتجاهات الرأي.

رسم بياني رقم 1: توزّع المجموعات

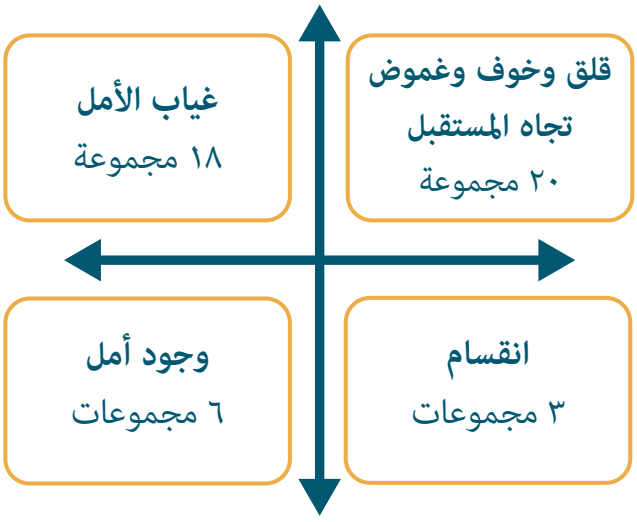

كانت الغلبة في مجموعات التركيز للاتجاهات السلبيّة لجهة غياب الأمل ووجود قلق وخوف وغموض اتجاه المستقبل، في مقابل قلّة من الشباب أشارت إلى وجود أمل. بالنسبة إلى حجم الكلام الذي قاله الشباب عن الموضوع، فقد كانت الغلبة أيضاً للأفكار السلبيّة بنسبة ٥٦٪ في مقابل ٤٤٪ للكلام الإيجابي، أي بفارق ١٢٪ لصالح الكلام السلبي. وإذا أضفنا حديث الشباب عن الخوف والقلق فنحصل على ٧٤٪ من الكلام السلبي عن المستقبل. إنّ قوّة المعاني التشاؤميّة التي أفاض بها الشباب في أحاديثهم كانت أكثر غزارة وقوّة من تلك التي عبّروا عنها في الحديث عن الأمل، الذي كان مُلتبساً أحياناً بدلالة بروز نزعة الأمل السلبي في أقوال الشباب: «عندي أمل ولكن أخاف أن لا تتحقّق أحلامي» (شابّة، البداوي). إذاً، إلى ماذا يعزو الشباب نظرتهم السلبيّة؟

١. أسباب النظرة السوداويّة للشباب نحو المستقبل

كان هناك غزارة في العبارات التي تدلّ على فقدان الأمل بدلالة استخدامهم لعبارات تعكس فقدان الأمل المتجذّر في أذهانهم مثل (مستقبل ضاع، مستقبل مجهول، مستقبل معدوم، لا يوجد مستقبل، ما في أمل، متشائمة)، وقد بلغ عددها ٥٩ عبارة توزّعت على ٤٦ جملة. كذلك أحصينا ١٩ مصدراً لقلق الشباب وخوفهم من المستقبل كما أوردوها في مجموعات التركيز (رسم بياني رقم ٢).

رسم بياني رقم 2: أسباب النظرة السوداويّة

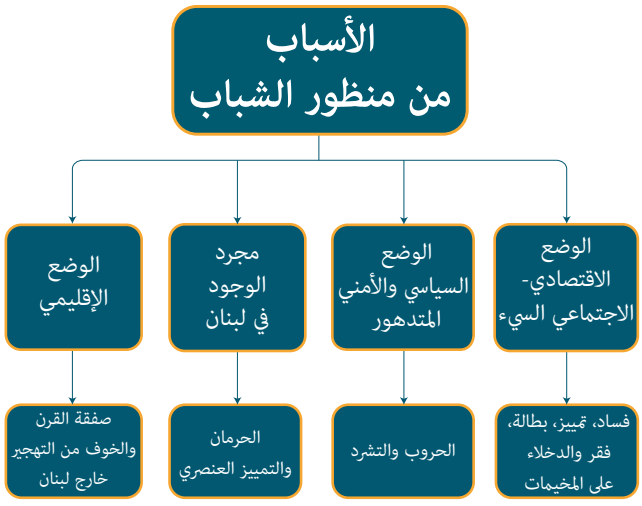

عزا الشباب النظرة السوداويّة إلى المستقبل إلى خمسة أسباب هي: مجرّد الوجود في لبنان؛ الوضع الإقليمي؛ الوضع الاقتصادي السيء؛ وعدم وجود أفق مهني؛ والوضعان السياسي والأمني.

مجرّد الوجود في لبنان

مال الشباب إلى اعتبار أنّ لا مستقبل لهم في لبنان في ١٨ مجموعة تركيز، واصفين أنفسهم بالمحرومين ومعتبرين مستقبلهم على «كفّ عفريت»، بدلالة على هشاشة الأوضاع وعدم ثباتها في لبنان. أوضح شاب من مخيّم البداوي: «لا يوجد عندي أمل في لبنان. الفلسطيني مستقبله على كفّ عفريت. ما في مستقبل». وأردف قائلاً: «الصغير بس يكبر بيتحطّم بيكون بيحلم بشي وبصير غير شي». كان اليأس واضحاً في أحاديث الشباب. قال شاب من صيدا: «الشباب الفلسطيني لديه طموح عالي ولكن في لبنان يقتلون هذا الطموح». كما امتزجت أجواء اليأس بتوقّع الحروب في لبنان مستقبلاً: «أنا أقول سوف تحدث حرب هنا وسوف يتدمّر لبنان» (شاب، المعشوق - صور). كذلك ربط الشباب نظرتهم إلى المستقبل في لبنان بمسألة الجنسيّة على ما صرّحت به شابّة من مخيّم برج البراجنة قائلة: «لو كان معي جنسيّة أخرى لكان مستقبلي أفضل». والشباب واعون لإرث التهميش المُزمن ويرون المستقبل كامتداد لواقع اللامساواة المُعاش في المخيّمات إذ كان لافتاً تنبؤ الشباب للمستقبل من منظور الحاضر المُمتد من إرث معاناة أهلهم كما عبّرت عن ذلك شابّة من مخيّم نهر البارد: «لا ما في أمل، الوضع سيء من سنوات طويلة مستقبل أهالينا هو هذه الأيّام». وأضافت زميلتها من المعشوق - صور: «أرى المستقبل صورة عن واقعي لا يتغيّر».

الوضع الإقليمي

نظرة الشباب للمستقبل في ٨ مجموعات تركيز كان لها بعد إقليمي لجهة قلقهم من حدوث مستجدات وأحداث إقليميّة وعالميّة «قلق كبير جدّاً بسبب الأحداث القادمة وصفقة القرن» (شاب، مخيّم نهر البارد). فكرة التآمر والمساومات على حساب الفلسطينيين كانت حاضرة في أذهان الشباب إذ أعتقد البعض أنّ البلدان العربيّة تتآمر عليهم: «البلاد العربيّة كلّها ضدّنا وكلّها مصالح، عم بيقولوا بدهم يبيعوا فلسطين» (شاب، مخيّم البداوي)، وتالياً تقضي على أحلامهم وتبقيهم في وضعيّات القلق والخوف من المستقبل. أوضحت شابّة من مخيّم نهر البارد: «قلق شديد نسمع عن صفقة القرن وعن مصير الفلسطينيين وعن المساومات والمؤامرات فلا أتأمّل بالمستقبل».

لم يقتصر كلام الشباب عن التآمر ضدّ الفلسطينيين، بل حدّدوا مخاوفهم من صفقات تؤدّي إلى تهجيرهم، وهم مهجّرون أصلاً. قالت شابّة من مخيّم نهر البارد: «المستقبل سوف يكون بتهجيرنا وتنفيذ صفة القرن». وأضافت زميلتها من المنكوبين: «محتارين وين بدهم يزتونا». نزعة الخوف والقلق من التآمر ضدّ الفلسطينيين ترافقت مع أفكار سوداويّة يحملها الشباب عن المستقبل كدلالة على انغلاق منافذ الأمل أمامهم، فيتحدّثون مثلاً عن حروب كونيّة «رح يصير حرب عالميّة. ما في مستقبل» (شاب، مخيّم البداوي) وتشرّد وغيره.

الوضع الاقتصادي السيء وعدم وجود أفق مهني

ألقى الوضع الاقتصادي السيء بظلاله على تصريحات الشباب في ٧ مجموعات تركيز، ونظروا إليه كمسبّب لقلهم من الفقر وتقليص الخدمات الأساسيّة التي توفّرها لهم الأونروا مثل التعليم والصحّة. قالت شابّة من مخيّم شاتيلا: «أخاف بسبب الفقر وتقليص خدمات الأونروا خصوصاً بالتعليم والصحّة». تدلّ مداخلات الشباب إلى عدم وجود أفق مهني أمامهم وأنّ البطالة تطال حتّى المتعلّمين منهم: «أنظر إلى الطلاب يتعلّمون ولا يعملون. أنا غير متعلّمة فماذا أنتظر من ذلك المستقبل» (شابّة، مخيّم نهر البارد). أضافت زميلتها من مخيّم شاتيلا: «لماذا أتعلّم إذا لم أجد عمل بعد انتهاء الدراسة، لماذا سوف أكمل». في الحديث عن الوضع الاقتصادي السيء، استذكر الشباب وضعيّات التمييز ضدّ الفلسطينيين في سوق العمل في لبنان مشيرين إلى قرارات وزير العمل المُجحفة بحقّهم التي تتسبّب لهم بقلق وخوف دائمين: «الوزير قطع آمالنا ووتّرنا وجعلنا نشعر بقلق وخوف» (شابّة، مخيّم البص - صور).

الوضع السياسي والأمني

تناول الشباب الوضع السياسي والأمني في ٥ مجموعات مشيرين إلى فقدان الأمل من جرّاء عدم وجود احترام للإنسان وبسبب الأنظمة السياسيّة السيّئة. أوضح شاب من مخيّم البداوي: «الأنظمة سيّئة ما في نظام صحيح ولا يوجد احترام للإنسان كرمال هيك ما في شي اسمه مستقبل». ولخّص زميله من صيدا قدريّة المستقبل في بيئات التهميش التي يسودها العنف قائلاً: «رأسمالك رصاصة طائشة، هيدا المستقبل».

٢. فسحة الأمل في أذهان الشباب: نسبيّة وتأرجح

كانت مساحة الحديث عن الأمل محصورة بقلّة من المشاركين فاقتصر الكلام الإيجابي على ٦ مجموعات من ٤٨ (١٢,٥٪). للدلالة على فسحة الأمل في أذهان الشباب، وردت عبارات في أحاديثهم مثل عندي أمل، متفائل، أراه جميلاً. والحديث عن الأمل كان متنوّعاً ما يشير إمّا إلى الجهد الشخصي والمثابرة في صنع الأمل عبر الحديث عن التطوير الذاتي والسعي الحثيث لتحقيق طموحاتهم، أو عبر النظرة القدريّة المتمثّلة بالاتكال على الله: «عندي أمل كبير (الحمد لله) ودائما أقول إن شاء الله» (شابّة، مخيّم عين الحلوة - صيدا).

على الرغم من قساوة التهميش الذي يختبره الشباب، كان لافتاً تمسّك فئة منهم بالأمل بمستقبل أفضل من خلال الجهد الشخصي، فتحدّثوا عن الأمل عبر التطوير والمثابرة: «أنا دائماً أفكر أنني سوف أطوّر نفسي وأتقدّم وأحقّق طموحاتي» (شابّة، المعشوق - صور). وأضاف شاب من صيدا: «الشخص هو من يصنع مستقبله، حتّى في لبنان من يسعى يستطيع». كان لافتاً دعوة الشباب إلى عدم الاستسلام على الرغم من عوائق الحصول على العمل، فضلاً عن الظروف القاهرة التي تتحكّم بمصيرهم. قالت شابّة من مخيّم عين الحلوة في صيدا: «لا يوجد خوف أو قلق، لكن يوجد الكثير من عوائق العمل، أنا عندي أمل وأكره الاستسلام ولكن أحياناً الظروف تحكمنا». لكن على الرغم من اعتراف الشباب بوجود معوّقات تعترض تحقيق آمالهم، إلّا أنّهم أصرّوا على التمسّك بالأمل ولو بنسبة قليلة: «أنا أتمسّك بالأمل لو كان ١٪ (أتمسّك به بأسناني)» (شابّة، مخيّم عين الحلوة - صيدا). كانت القناعة بارزة في تصريحات الشباب معترفين بضيق الفرص في الحصول على مهن مرموقة غير متوفرة للفلسطينيين في بيئات التهميش، فتحدث البعض منهم خصوصاً الإناث عن أملهم بمهن مستقبليّة لا تقع في المراتب العليا للسلم الاجتماعي كالتزيين النسائي والخياطة. قالت شابّة من مخيّم عين الحلوة - صيدا: «أنا أراه جميلاً عندما أصبح كوافيرة كبيرة».

على الرغم من وجود مساحات من الأمل في أذهان الشباب، كان الأمل السلبي طاغياً في أحاديثهم المتمثّل بالهجرة خارج البلاد، فأتى الحديث عن الأمل نسبياً ومتأرجحاً لأن القلق يرافق رؤيتهم إلى المستقبل في ظل أوضاع التهميش مثل الأمل المحفوف بالخوف بسبب الجنسيّة: «متأملة ولكن بخاف ما تزبط أحلامي وأهم شي الجنسيّة بتعرقل» (شابة، البداوي)، فضلاً عن الأمل النسبي «في أمل شوي يعني ٥٠ بالمية» (شابّة، البداوي). كانت أحلام الشباب منقوصة فبيئات التهميش تقلّص من آمالهم بالمستقبل فيرونه متأرجحاً ونسبياً وسلبياً وقلقاً.

٣. ما بين النظرة السوداويّة والنظرة الإيجابيّة: قلق وغموض

الصورة التي يقدّمها الشباب الفلسطينيون عن نظرتهم اللمستقبل، سلبيّة كانت أم إيجابيّة، كان فيها قلق وغموض وخوف إذ احتلّ حجم الكلام عن القلق والغموض ٤١٪ من مجموع الكلام الذي قيل عن الأمل بالمستقبل (٢٦٪)، وعدم وجود أمل به (٣٣٪). بكلام آخر، يربط الشباب نظرتهم إلى المستقبل بواقع وضعيّات التهميش التي يعيشونها فهم يعانون من الفقر والعنف، ويعيشون حياتهم في خوف ويشعرون أن لا صوت لهم في التغيير فيعبّرون عنها من منظور حديثهم عن المستقبل. قال شاب من مخيّم نهر البارد: «المستقبل في عيون الشباب مجهول بسبب الأحداث والأوضاع الاقتصاديّة». وأضافت شابّة من الداعوق - الطريق الجديدة: «قلق كبير ولا نعرف ما القادم». وخلص شاب من مخيّم البداوي إلى القول: «ضياع، ضياع، ضياع يوجد قلق ولا نريد التفكير بالمستقبل». وإذا فكّر الشباب بالمستقبل، فماذا يتوقّعون؟

ثانياً: التوقّعات المستقبليّة

الشباب المشاركون منوعون لجهة توقّعاتهم المستقبليّة. مقابل ٦ مجموعات غلب فيها الامتناع عن القيام بأي توقّع، هناك ٤٢ مجموعة عبّر فيها الشباب عن توقّعاتهم: في بعض هذه المجموعات تحدّث الشباب عن التوقّعات الوجوديّة، وفي بعضها الآخر تحدّثوا عن التوقّعات المهنيّة/الدراسيّة، وفي حالات أخرى كانت اتجاهاتهم مختلطة (توقّع دراسي/مهني وجودي، وعائلي) (رسم بياني رقم ٣).

رسم بياني رقم 3: توزّع المجموعات على التوقّعات المستقبليّة

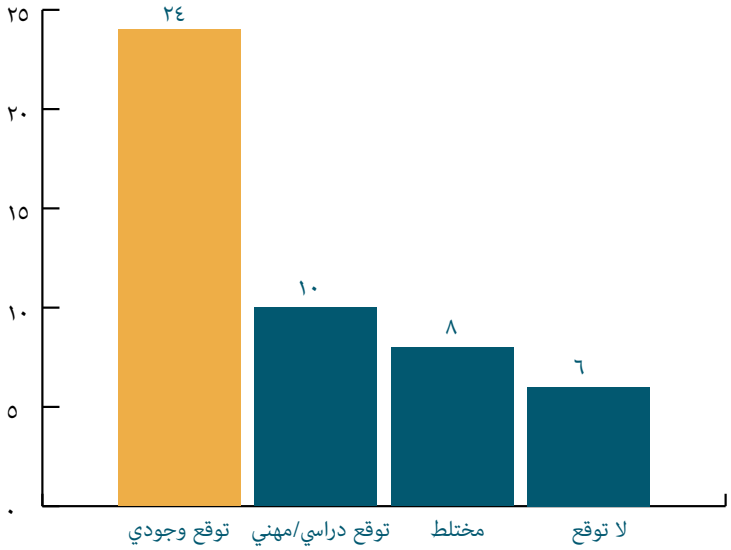

التوقّعات بالمستقبل التي أوردها الشباب ليست مجرّد تنبؤات، بل تشير إلى دافع واضح للهروب من العواقب العقابيّة للتهميش التي يتعرّضون لها باستمرار. عكست القواسم المُشتركة في مواقف الشباب الحاجة الملحّة للاستقرار من خلال قنوات مُتعدّدة أبرزها الهجرة والحصول على جنسيّة، أو بناء مسار وظيفي من خلال الدراسة، والزواج في بعض الأحيان كما يشير الرسم البياني رقم ٤.

رسم بياني رقم 4: توقّعات الشباب المستقبليّة

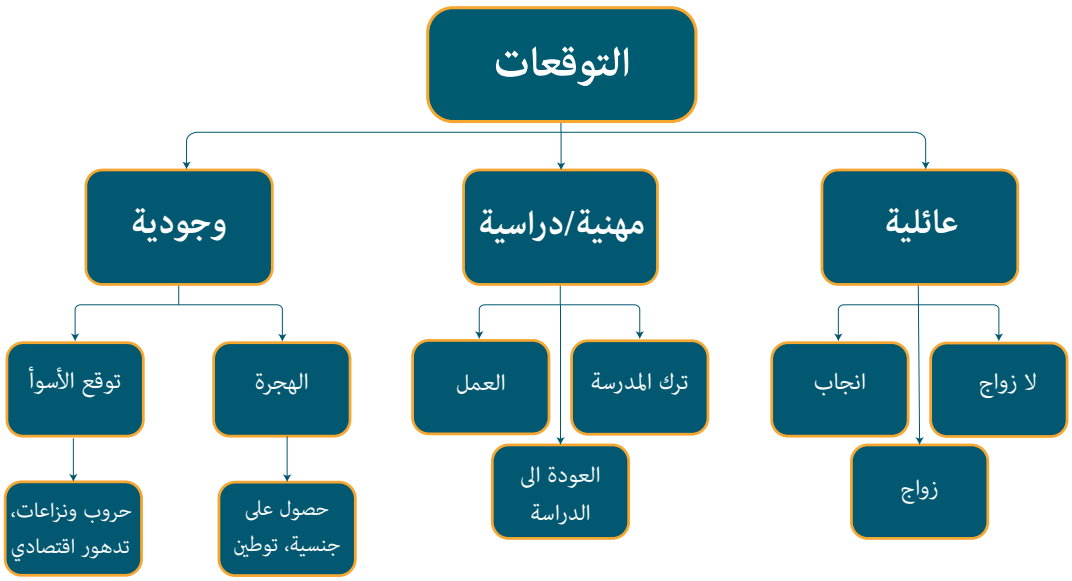

تمحور الكلام عن التوقّعات المستقبليّة حول التالي:

١. التوقّعات الوجوديّة

كان هناك غزارة في العبارات التي أوردها الشباب عن توقّعاتهم الوجوديّة للمستقبل أبرزها الهجرة (في ٢١ مجموعة تركيز). استعمل الشباب عبارات مثل الهجرة أو السفر، التوطين، ثمّ الجنسيّة، إذا قمنا بترتيبها وإلصاقها تباعاً (Collage) نحصل على الجملة التالية: السفر أو الهجرة من أجل الحصول على جنسيّة والتوطين. وهذا أمر يمكن التنبّؤ به لمجموعة مُهمّشة من السكّان تعاني من الحرمان المُزمن بما فيها حقوق اللاجئين في بلد يعتبر منح هكذا حقوق يشكّل تهديداً له خوفاً من أن تؤدّي إلى التوطين الذي يقلب المعادلات السكّانيّة المذهبيّة القائمة. ارتبط الحديث عن الهجرة بمتابعة الدراسة في الخارج، فضلاً عن الزواج والاستقرار. بلغت التوقّعات الوجوديّة عند الذكور ٥٨٪ في مقابل ٤٢٪ للإناث. نستعرض أدناه الهجرة كتوقّع وجودي استفاض الشباب في الحديث عنه.

كان رأي الأكثرية عن التوقّعات والأمنيات المستقبليّة هو السفر أو الهجرة إلى بلد آخر مثل كندا أو أوروبا أو تركيا، معتبرين ذلك الحلّ الأنسب والأمل الوحيد لهم على مستويات عدّة: عائليّة، استقرار، متابعة الدراسة أو العمل في الخارج. في توقّعاتهم، يرى الشباب أنّهم مستعدون للذهاب إلى أي مكان خارج لبنان: «إذا تأمّن لي سفر أسافر إلى أي مكان آخر» (شاب، تجمّع سعيد غواش - الطريق الجديدة)، إذ يميل الشباب إلى توقّع الهجرة بسبب تدهور الأوضاع في ١٣ مجموعة متحدّثين عن أملهم بالحصول على فرص عمل والاستقرار في الخارج. كذلك توقّع البعض الهجرة القسريّة نتيجة عوامل سياسيّة سوف تفرض على الفلسطينيين التهجير مستقبلاً: «ممكن يهجرونا ويمكن يعطونا جنسيّة أو بصحراء سينا» (شاب، مخيّم البداوي) أو بسبب ما اعتبره البعض صفقة القرن: «أتوقّع مع صفقة القرن أن أسافر» (شابّة، جبل البداوي). أيضاً ارتبطت توقّعات الشباب بالسفر والهجرة للدراسة في الخارج: «السفر والتعلّم برا» (شابّة، مخيّم نهر البارد) أو للعمل: «أسافر واشتغل برّا» (شابّة، البداوي).

٢. التوقّع الدراسي أو المهني

تركّزت توقّعات الشباب الدراسية أو المهنية في الحصول على ما يحرمون منه في وضعيّات التهميش وخصوصاً إيجاد عمل مستقبلاً. قالت شابّة من مخيّم نهر البارد: «إيجاد فرص عمل في المستقبل»، إذ أصبح إيجاد عمل بمثابة حلم على ما صرّحت به زميلتها من مخيّم البصّ في صور قائلة: «أجد فرصة عمل (لأنّها أصبحت حلماً)». كانت الإناث أكثر توقّعاً بمستقبلهم المهني أو الدراسي (٧٠٪) من الذكور (٣٠٪). قالت شابّة من البداوي: «أتوقّع إنهاء دراستي وأتمنّى أن أكون طبيبة». وأشارت زميلتها من مخيّم عين الحلوة في صيدا أنّها تتوقّع شغل وظيفة منعها أهلها من مزاولتها: «أنا درست اختصاصي سكرتيرة طبيّة وأتمنّى العمل بها في عيادة (ربّما عندما أكبر بعد، أهلي يقتنعوا بأنّ أعمل في عيادة)». ومن التوقّعات المهنيّة كانت الاهتمام بالأطفال. قالت شابّة من مخيّم عين الحلوة في صيدا: «أعمل في محطّة تلفزيونيّة للأطفال أو إنشاء دار حضانة للأطفال».

أمّا التوقّعات الدراسيّة فتمحورت حول العودة إلى الدراسة: «أنا أتوقّع أن أعود إلى المدرسة»، ردّت أخرى: «أنا أفكّر أيضاً بالموضوع»، أو إكمال الدراسة والعمل في حقل الاختصاص: «أكمل دراسة التصوير وأعمل بها» (شابّة، البداوي). لكن هذا التوقّع لا يعبّر عنه الشباب بسبب تحصيلهم العلمي وواقع سوق العمل الذي يقلّص من فرص حصول الفلسطينيين على عمل مستقبلاً بسبب منظومة التمييز القائمة على صعيد قانون العمل والجنسيّة. وردّاً على توقّعات الشباب المستقبليّة دراسياً ومهنياً دارت في مجموعات التركيز، علّق شاب من صيدا مذكّراً زملاءه بالواقع المرير الذي يعيشه الشباب الفلسطيني في وضعيّات التهميش: «حلو التفاؤل، لكن المهم ألا تنسى الواقع».

٣. التوقّع العائلي

كانت الغلبة للتوقّعات العائليّة للإناث (٧٢٪) في مقابل ٢٨٪ للذكور. أتت أعلى التوقّعات العائليّة في الزواج وهو مصير كلّ فتاة كما هو راسخ في أذهانهن: «وأنا أتوقّع الزواج مصيراً لكلّ بنت» (شابّة، مخيّم نهر البارد)، فضلاً عن الإنجاب: «الولادة، أن يكون لديّ أطفال» (شابّة، البداوي). كذلك ربط البعض الزواج كنتيجة عدم التحصيل الدراسي: «المستقبل لغير المتعلّم أو المتعلّمة هو الزواج» (شابّة، مخيّم نهر البارد)، في إشارة إلى سلبيّة عدم التعلّم لجهة تقليص خيارات الشابّات المستقبليّة وحصرها بالزواج. في المقابل، كان هناك من توقّع عدم الزواج تمرّداً على حتميّة الزواج للفتاة الفلسطينيّة كتعبير عن تعلّقهم بالحرّية: «مستحيل أن أتزوّج لأني أحبّ الحرّية. أنا كالعصفور» (شابّة، مخيّم نهر البارد).

انسداد الأفق وعدم التوقّع

لم يكن هناك أي توقّعات مستقبليّة للشباب في ٦ من أصل ٤٨ مجموعة، عاكسين بأقوالهم جوّ اليأس والقنوط الذين يرزحون تحته. قال شاب من مخيّم نهر البارد: «لا وجود للتوقّعات في ظلّ هي الحياة». وأضاف زميله من مخيّم البداوي - المنكوبين: «لا توقّعات خلينا باليوم يلي عم نعيش فيه». غياب التوقّعات في أذهان الشباب يعود إلى عدم سيطرتهم على مجريات الأحداث في وضعيّات التهميش، بحيث ينكفئون عن توقّع المستقبل كما لخّصت الوضع القائم شابّة من البداوي: «المستقبل ليس بيدي لذا لا أتوقّع شيئاً».

ثالثاً: أمنيات الشباب لو تحقّقت

نتوقّف هنا عند أمنيات الشباب وهي أربع: فرديّة/شخصيّة، مهنيّة، اجتماعيّة، وعامّة.

١. الأمنيات الفرديّة /الشخصيّة: التنفّس في وضعيّات الحرمان

يتوق الشباب إلى العيش بأمان والحصول على الحماية الاجتماعيّة والخدمات الصحّيّة وحقّ التعلّم، فضلاً عن الحصول على فرص عمل بدلالة استخدامهم عبارات مثل استقرار أمني واقتصادي، طبابة، أمان وراحة كأمنيات فرديّة، فهم يعيشون في بيئات مُهمّشة ومعزولة ومكتظّة تعاني من مستويات فقر متزايدة وتدهور الأوضاع على الصعد والمستويات كافة، وهذا ما تناوله الشباب بقوّة في محاور أخرى من الدراسة. كما كان هناك غزارة في العبارات التي تشير إلى أمنية الهجرة والسفر، منها ٢٤٪ من حجم الكلام الذي قيل عن الموضوع السفر إلى فلسطين: «الأمنية الوحيدة إرجع على فلسطين وأعيش بكرامتي» (شاب، مخيّم البداوي - المنكوبين)، أو السفر إلى أماكن جذّابة مثل ديزني لاند (Land Disney) والمالديف ولوس أنجلوس أو الهجرة إلى كندا. عكست أمنيات الشباب الفرديّة رغبتهم في الخروج من المخيّم، وتالياً من وضعيّات التهميش والسفر خارجه، توقاً إلى الترقّي الاجتماعي التي أوردوها بغزارة في أحاديثهم، حيث وردت عبارة الترقّي الاجتماعي ٤٣ مرّة، تبعها الحديث عن الزواج (٤٠ مرّة)، ثمّ العودة إلى فلسطين (١٤ مرّة)، والأمان (١٤ مرّة)، ثمّ الراحة (١٣ مرّة). تمنّت شابّة من البداوي: «العيش بسلام وتأمين متطلّبات الحياة الكريمة» و«استقرار في الأمن والاقتصاد». وأضاف شاب من تجمّع سعيد غواش - الطريق الجديدة قائلاً: «تحسين وضع الفلسطيني وإعطائه حقوقه»، عاكساً بقوله وضعيّات الحرمان المُزمن والمُتعدّدة التي تدفع بالفلسطينيين للمطالبة بحقوقهم الأساسيّة المحرومون منها. لم يغب عن أذهان البعض الحديث عن الاستشهاد من أجل دخول الجنّة، وهي سمة من سمات شباب المأساة: «وأتمنّى الشهادة لأدخل الجنّة» (شابّة، مخيّم نهر البارد)، إلّا أنّ الحديث عن الاستشهاد كان

قليلاً في كلّ الأحوال على الرغم من ورود فكرة تمنّي الموت نظراً لانسداد الأفق أمام الشباب كما عبّر عن ذلك شاب من صيدا قائلاً: «أتمنّى أن أموت لأنّه ليس لديّ أمل بشيء (حتّى الهجرة ما رح تزبط)».

٢. أمنيات المهن: بين الواقع المرير والمرجو البعيد المنال

عبّر الشباب عن أربعة أنواع من التمنيات المهنيّة، وهي: أمنيات المهن العليا، أمنيات المهن التقليديّة، أمنيات مهن ذات بعد مدني، أمنيات مهن جماليّة.

أمنيات المهن العليا

عكست أمنيات المهن العليا لدى الشباب ما يتوقون إليه من فرص مهنيّة مستقبليّة حُرم الفلسطينيون من ممارستها في لبنان، وهي تقع في أعلى السلم الاجتماعي مثل الطبّ، والمحاماة، والهندسة، والطيران، والإعلام، والتمريض، والسلك الديبلوماسي. تمنّت شابّة من مخيّم البصّ في صور أن تصبح محامية قائلة: «أن أصبح محامية ويحقّ لي ممارسة المهنة». فيما كانت أمنية زميلتها من مخيّم برج الشمالي في صور العمل في وكالة الفضاء الأميركيّة الناسا: «أعمل يوماً ما في وكالة ناسا فأنا أحبّ الفيزياء».

من أمنيات الشباب كانت ريادة الأعمال والبزنس سعياً إلى الشهرة وكسباً للمال. قالت شابّة من مخيّم عين الحلوة في صيدا: «السفر وأنّ يكون لديّ Brand ماكياج خاصّ بإسمي». وأضافت زميلتها من عين الحلوة أيضاً: «أصبح سيّدة أعمال مستقلّة مالياً ومعنوياً وكاتبة مشهورة». كانت أمنية شاب من صور المعشوق أنّ يكون له إسم في عالم الحاسوب: «أن أضع إسماً لي في مجال الكمبيوتر (إسم عالمي)».

أمنيات المهن التقليديّة

مقابل أمنيات الشباب في الحصول على مهن عليا والمال والشهرة في عالم الأعمال، تحدّث البعض عن مهن دأب الفلسطينيون على ممارستها في لبنان تقليدياً، وأصبحت الآن أمنيات في أذهانهم نظراً لندرتها وصعوبة الحصول عليها في بيئات التهميش، منها التزيين النسائي، الخياطة، والحلاقة. قالت شابّة من مخيّم برج البراجنة: «أن أصبح كوافيرة نسائيّة». وأضاف زميلها من مخيّم شاتيلا: «أمنيتي أنّ أكون حلّاقاً مشهوراً». كان هناك قناعة عند البعض في تصوّر أمنياتهم المهنيّة كمجرّد الاكتفاء بإيجاد عمل وهو الحدّ الأدنى من الفرص الذي يسعى البعض إلى الحصول عليها لتلبية الحدّ الأدنى من متطلّبات العيش وسط اللامساواة. قال شاب من المعشوق في صور: «أمنيتي أن أعمل وضل كافي عيلتي وغير هيك لا أريد شيئاً».

أمنيات ذات بعد مدني

البعد المدني من أجل خدمة المجتمع ومقاربة قضاياه كان حاضراً في أمنيات الشباب. كان لافتاً ربط الشباب أمنياتهم بممارسة ميادين اختصاصاتهم المستقبليّة لمناصرة قضايا العدالة كمكافحة التهميش. قالت شابّة من مخيّم شاتيلا: «أدرس تعليم خاص وأقدّم شيئاً للمجتمع وأساعد المهمّشين في هذه الحياة». كما تمنّى الشباب القيام بأعمال تطوعيّة ذات بعد مجتمعي من أجل مساعدة الناس. قال شاب من مخيّم برج البراجنة: «بتمنّى أسّس جمعية تطوّعيّة لأساعد الناس، من أنا وصغير بحبّ أتطوّع بمؤسّسات بس ما عم لاقي مؤسّسات أو أفراد يساعدوني، أسّس جمعيّة وأساعد الأشخاص للتطوّع». وتمنّت زميلته من نفس المخيّم القيام بعمل من أجل الأيتام: «أن أفتح داراً للأيتام». عبّر البعض عن أمنياتهم بأنّ يكونوا فاعلين ومؤثّرين في المجتمع لمساعدة الجميع. أوضحت شابّة من منطقة الداعوق في طريق الجديدة: «أن أكون شيئاً مؤثّراً بالمجتمع وأستطيع تقديم المساعدة للجميع». كانت القيادة في المجتمع حاضرة أيضاً في فضاءات أمنيات الشباب. قالت شابّة من الداعوق طريق الجديدة: «أتمنّى المشاركة في دورات أكثر وأحبّ القيادة في المجتمع والمؤسّسات وأطوّر شخصيّتي ومواهبي».

أمنيات جماليّة

كان لافتاً في أقوال الشباب تصوّر أمنياتهم الجماليّة (Aesthetic) والرياضيّة التي حرموا منها في المدرسة نظراً إلى تهميش المناهج للمواد التي تنمّي مهارات ومواهب التلامذة مثل الرسم والرقص والرياضة ومن خلال الأنشطة الصفّيّة واللاصفّيّة. قالت شابّة من مخيّم عين الحلوة في صيدا: «أنا أتمنّى أن أصبح رسّامة، أنا أحبّ الرسم». وأضافت زميلتها من البداوي: «أمان واستقرار وأعمل فرقة دبكة عالميّة». كان للرياضة حصّة في فضاء أمنيات الشباب. كانت أمنية شاب من المعشوق في صور أن يصبح لاعب كرة قدم: «أن أصبح لاعب كرة قدم مشهور». لم يغب عن أذهان الشباب مفهوم توظيف الرياضة في سبيل إعلاء شأن الوطن من خلال المباريات الرياضيّة. قال شاب من مخيّم شاتيلا: «أمنيتي أن ألعب كرة القدم مع منتخب فلسطين».

٣. الأمنيات الاجتماعيّة: تماسك العائلة ورفاهيتها

دارت أحاديث الشباب في ٧ مجموعات حول أمنياتهم الاجتماعيّة التي تركّزت على مساعدة العائلة وتحسين أوضاعها: «أمنيتي أن أكفي أهلي وأحسّن أوضاعهم» (شاب، مخيّم شاتيلا)، والبقاء بالقرب منها، فضلاً عن الزواج. قالت شابّة من مخيّم عين الحلوة في صيدا: «أن تبقى أمي بصحّتها وبقربي وتراني أكبر وترى أولادي (الزواج)». يمكن رؤية الأمنيات الاجتماعيّة للشباب من منظور الأسرة كوحدة اجتماعيّة أساسيّة وصلبة في المجتمع الفلسطيني. كذلك ارتبطت أمنيات الشباب الاجتماعيّة بأمنية الهجرة، ومن شأنها في رأيهم التخفيف من الأعباء التي تعاني منها عائلاتهم. كانت الهجرة العنصر الثابت في أمنيات الشباب الاجتماعيّة وعياً منهم أن هذه الأمنيات لا يمكن تحقيقها في سياق التهميش في لبنان. أوضح شاب من مخيّم عين الحلوة في صيدا: «الخروج من لبنان أنا وأهلي لتحسين ظروفنا».

٤. أمنيات عامّة

هناك ٢٤ مجموعة كانت لديها أمنيات عامّة أتت بمثابة التعبير عما يتوق إليه الشباب من حقوق أساسيّة محرومون منها. قال شاب من الداعوق طريق الجديدة: «سافر على بلد بيحترم الحقوق، عالقليلة إذا مرضت أقدر إتحكّم». ركّزت أمنيات الشباب على السلام والأمن: «الأمن والاستقرار للفلسطينيين» (شاب، صيدا) التي تفقدها المخيّمات ولبنان. تناولت أمنيات الشباب العدالة والحقوق والوئام: «أتمنّى أن تحبّ الناس بعضها ولا يكون هناك تمييز ولا عنصرية» (شاب، مخيّم شاتيلا). كان كلّ من الاقتصاد والمعيشة حاضرين في أذهان الشباب، وتركّزت أمنياتهم على أن ينعم البلد المضيف بهدوء وظروف اقتصاديّة أفضل: «أن ينعم لبنان بهدوء وظروف اقتصاديّة أفضل» (شابّة، مخيّم برج الشمالي - صور).

٥. غياب الأمنيات من أذهان الشباب

قالت ٦ مجموعات أن لا أمنيات لها، وكانت ٤ مجموعات غير مبالية أو يائسة. كان هناك غياب للأمنيات مع كلام إيجابي «ما في أمنية، ما بحبّ سافر، بحب البلد» (شاب، الداعوق الطريق الجديدة). كان اليأس حاضراً: «فاقد الأمل بكلّ شي» (شاب، الداعوق - الطريق الجديدة)، وكان هناك غياب للأمنيات بسبب عدم المبالاة: «ليس لدي أمنيات. لم أفكّر» (شابّة، عين الحلوة).

خلاصة عامّة

سرديّات الشباب عن نظرتهم إلى المستقبل ضمن وضعيّات التهميش كانت تشاؤميّة بمعظمها وبمثابة مرآة لحرقتهم ومعاناتهم المُزمنة كلاجئين. مرآة تعكس إرث المعاناة في وضعيّات التهميش التي يتوارثونها عن أهلهم وأجدادهم. أتى تنبؤ الشباب للمستقبل من منظور الحاضر المُمتد من إرث معاناة أهلهم. لم يغب عن نظرة الشباب إلى المستقبل فكرة التآمر والمساومات والصفقات على حساب الفلسطينيين، إذ اعتقد الشباب أن البلدان العربيّة تتآمر عليهم، مستحضرين من خلالها قلقهم وخوفهم من التهجير والتشتّت، وهو ما زاد من سوداويّة نظرتهم إلى مستقبلهم. كان لافتاً استذكار الشباب لوضعيّات التمييز ضدّ الفلسطينيين في سوق العمل اللبناني إبّان حديثهم عن نظرتهم إلى المستقبل، كذلك استحضروا في أحاديثهم معاناتهم من الفساد السياسي والأنظمة السيّئة وغياب الأمان وعدم وجود احترام للإنسان ما جعل من نظرتهم إلى المستقبل مساحة للحديث عن واقع التهميش المُعاش الذي يعانون منه.

فسحة الأمل بالمستقبل التي عبّرت عنها قلّة من الشباب، أتت غير مُكتملة، وتداخل فيها شعورهم بعدم الثقة والخوف والقلق لما قد يحمله المستقبل من مزيد من التهجير والمآسي والفقر، عاكسين بذلك نزاعاً داخلياً بين المرجو والواقع المرير المُعاش. رأى الشباب الأمل من نافذة الهجرة والسفر كأمنيات وجوديّة سعياً إلى الترقّي الاجتماعي، فهم يتوقون إلى العيش بأمان والحصول على الحماية الاجتماعيّة والخدمات الصحّيّة وحقّ التعلّم والعمل والأمان، وكانت الأمنية الأساسيّة الخروج من المخيّم، وتالياً من وضعيّات التهميش. كما كانت لافتة الفانتازيا في أمنيات الشباب الفرديّة مثل السفر إلى المالديف ولوس أنجلوس تعبيراً عن توقهم إلى الترفيه والسياحة لاستكشاف أماكن جذّابة يسمعون عنها.

من اللافت ربط الشباب أمنياتهم الاجتماعيّة بأمنية الهجرة، ما من شأنه التخفيف من الأعباء المعيشيّة التي تعاني منها عائلاتهم، وتظهير قوّة تضامن وتماسك العائلة الفلسطينيّة في أذهانهم كوحدة اجتماعيّة أساسيّة وصلبة، وكميزة من ميزات ثقافة الجماعة في المجتمع الفلسطيني، وإرث ثقافي-اجتماعي في مقاومة التهميش.

أيضاً، كان لافتاً الفضاء الافتراضي للأمنيات المهنيّة المرموقة لدى الشباب المُتمثّل في الحصول على مهن عليا تقع في أعلى درجات السلم الاجتماعي مثل الطبّ، والمحاماة، والهندسة، وعلوم الفضاء والسلك الديبلوماسي وغيرها، ما يعكس توقهم إلى تبوء مهن مستقبليّة يُحرم الفلسطينيون من ممارستها. كانت القناعة بارزة أيضاً في تصريحات الشباب مُعترفين بضيق الفرص في الحصول على مهن مرموقة غير متوفرة للفلسطينيين في بيئات التهميش، بحيث اكتفى الشباب بأمنية ممارسة مهن دأب الفلسطينيون على ممارستها في لبنان، وفي حدّها الأدنى كانت أمنية الشباب مجرّد الحصول على عمل.

كانت لافتة أيضاً الأمنيات الجماليّة (Aesthetic) مثل الرسم والرقص والرياضة التي يتمنّون ممارستها، وهي مهمّشة في المناهج الدراسيّة وتقع في أدنى سلم الاهتمامات المدرسيّة نظراً إلى الحشو في المناهج الدراسيّة التي تركّز على التعليم بالمضامين القائمة على الحفظ والمتركّزة حول المعلّم.

النقطة المضيئة في أمنيات الشباب المهنية كان حديثهم عن البعد المدني من أجل خدمة المجتمع ومعالجة قضاياه لمناصرة قضايا العدالة ومكافحة التهميش والقيام بأعمال تطوّعيّة ومساعدة الناس وخصوصاً الأيتام والأطفال، وهم أكثر الفئات تهميشاً وعرضة للانتهاك والاستغلال في وضعيّات التهميش في المخيّمات. والنقطة المضيئة الثانية هي صنع الأمل والتمسّك به من خلال الجهد الشخصي والمثابرة وعدم الاستسلام من أجل مستقبل أفضل للشباب.

كان مؤثّراً في أحاديث الشباب أمنياتهم في تحقيق الأمن والسلام والعدالة والمساواة، وهي من أبسط الحقوق التي يحرم منها الفلسطينيون في البيئات المُهمّشة، وفي المقابل من أكثر الخطابات الأمميّة تداولاً، والحاصل أفول الأحلام والتمنيات في واقع المأساة واللامبالاة.

شباب الفقر وصورة المستقبل
دراسة مُقارنة

عدنان الأمين•

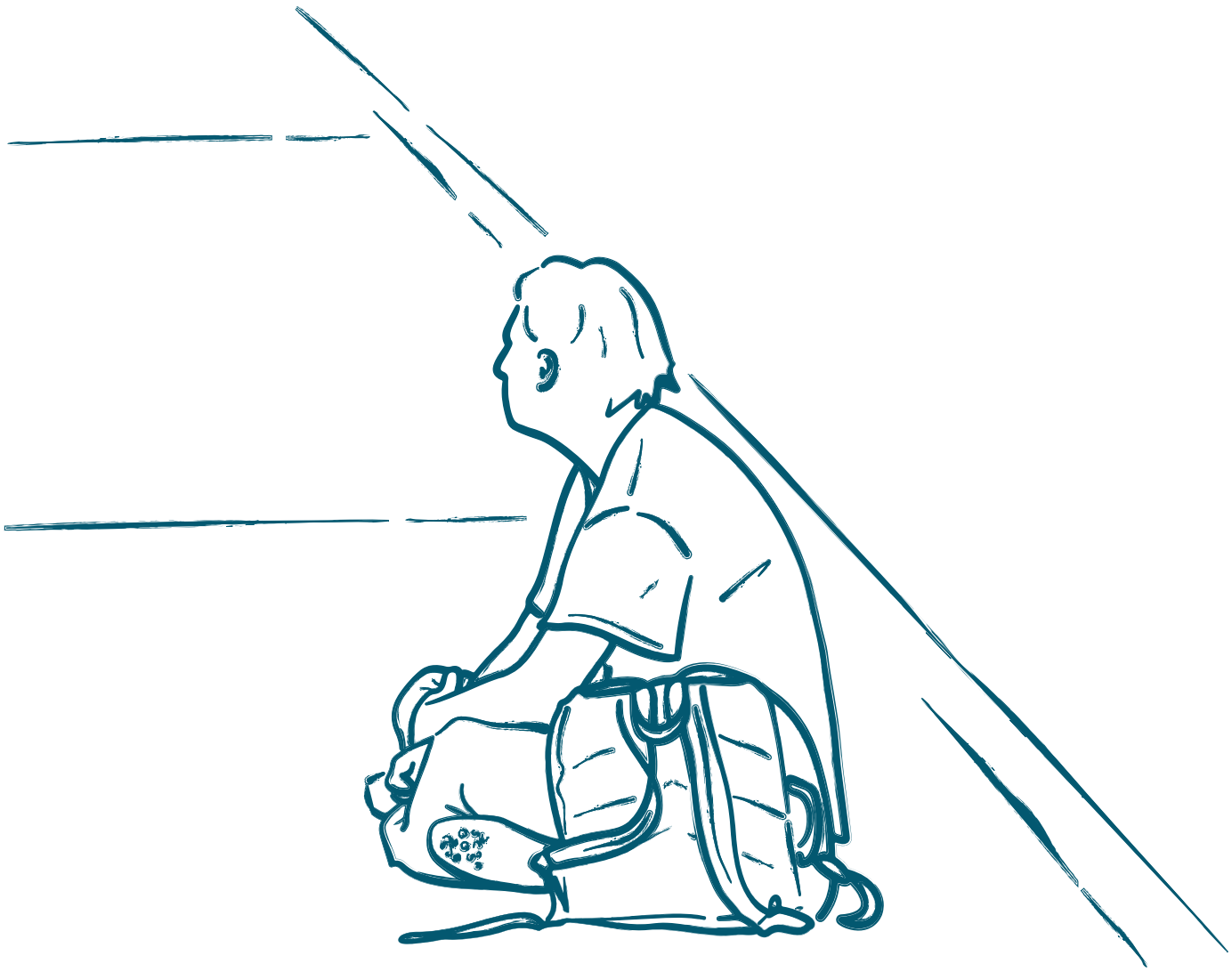

• أستاذ العلوم التربويّة في الجامعة اللبنانيّة.

مُقدِّمة[1]

سوف أقوم هنا بتحويل البيانات النوعيّة (الاستشهادات) في المجموعات السكّانية الثلاث إلى بيانات كمّيّة. طبعاً سوف نفتقد بهذه الطريقة حرارة الاستشهادات، ويغيب عنّا الكلام الحيّ الذي نطق به الشباب. لكن، لم يكن بالإمكان التعرّف إلى الفروق بين اللبنانيين والفلسطينيين والسوريين، والتي تعود إلى وضع كلّ جنسيّة داخل المجتمع اللبناني، ولا إلى التشابهات العائدة إلى تماثل أوضاع التهميش بين الجنسيّات الثلاث، إلّا من خلال المقارنة الإحصائيّة. سوف تشمل المقارنة، هنا، الفروق والتشابهات بين الذكور والإناث أيضاً.

أساساً، فُرِّغت محاضر جلسات مجموعات التركيز في سجّلات إكسيل. هناك ٢٢ سؤالاً طُرِح على كلّ مجموعة، ووضع لكلّ سؤال سجّل، أي ٦٦ سجّل إكسيل[2]. يتضمّن كلّ سجل جميع الاستشهادات الواردة في كلّ مجموعة تركيز، موزّعة في مواضيع وفئات فرعيّة. عُرِّفت كلّ مجموعة برقم تسلسلي وباسم المُنسِّق الذي أدار العمل الميداني وسلّم محضره، وعُرِّفت أيضاً بجنس أفراد المجموعة.

حُدِّدت المواضيع والفئات بعد عدد من التجارب، ووُضِعت أيضاً في اصطلاح (code) خاصّ بكلّ سؤال. وهي ٢٢ اصطلاحاً لأنّ الاصطلاح الواحد يتعلّق بسؤال وليس بجنسيّة. وفّرت هذه الطريقة قاعدة مُشتركة تسمح بالمقارنة بين الجنسيّات الثلاث. بعد إنجاز الباحث المساعد تفريغ كلّ سؤال في ثلاثة سجّلات، كنتُ أرسل إلى كلّ باحث من الباحثين الثلاثة في الفريق السجّل الذي يعنيه، لأنّ كلاً منهم أخذ على عاتقه العمل على جنسيّة واحدة. كان لكلّ باحث ملء الحرّيّة بأنّ يتعامل مع البيانات المُرسلة إليه بالطريقة التي يراها مناسبة، بما فيها إعادة تجميع البيانات وتفريغها. طبعاً لكلّ باحث أسلوبه في التفكير والكتابة. صحيح أنّه كانت تُعقد اجتماعات مُستمرّة بين أعضاء الفريق، نتداول خلالها جميع الشؤون المُتعلّقة بالسجّلات والمواضيع والفئات وخطط التقارير التي سوف تُحضَّر ومنهجيّة الكتابة، إلّا أنّ ما كتبه كلّ من الزملاء أعضاء الفريق يحمل بصماته الخاصّة، مضموناً وأسلوباً. ما كتبه هو ملك له وهو مسؤول عنه.

إذن هناك «قاعدة مُشتركة» في جمع البيانات وتفريغها وتنظيمها وتحليلها والكتابة عنها، وهناك خصوصيّة لكلّ تقرير عن النتائج.

من جهتي، وتحضيراً للتقرير الذي أنا بصدده هنا، راجعتُ كلّ سجل إكسيل على حدة، وعدّلت في التصنيفات بطريقة أكثر تناسباً مع الغرض الإحصائي، وبما يسمح لي بنقل البيانات من الإكسيل (Excel) إلى الـ (SPSS).

هذا من حيث تنظيم البيانات، أمّا لجهة تحليلها إحصائياً فيحتاج الأمر إلى بعض التوضيحات.

هناك إذن ٢٢ سؤالاً جمعناها في ٦ محاور. يضمّ المحور الحالي (المستقبل) ٣ أسئلة[3]، وهناك ١٤٤ مجموعة (٤٨ مجموعة لكلّ جنسية). لو كانت أداة البحث هي الاستمارة، كان يجب أنّ يكون عدد الأجوبة في كلّ سؤال في جميع المجموعات ١٤٤ جواباً مع احتمال غياب (إهمال السؤال أو الامتناع عن الجواب عليه)، ويكون عدد «لا جواب» محدوداً. لكن مجموعة التركيز لها منطق آخر.

يطرح المُيسِّر السؤال على المجموعة فيجيب المشاركون. ومهما يكن عدد الذين أجابوا على السؤال ٢٠ مثلاً، نحتسب النزعة لدى أكثرية المتكلّمين (أمل ٢٣، لا أمل ٤٤، قلق وخوف وغموض ٦١، لا أكثرية ١١، لا جواب ٥). هنا، يكون مجموع المجموعات المُجيبة كاملاً (١٤٤). لكن بعد أن يتشعّب الحديث يصعب اختزال الموضوع الى أكثريّات يكون مجموعها ١٤٤.

١ جزء من هذه المقدّمة مُستعادٌ تكراراً من الكتاب الأوّل والكتب اللاحقة، وتحديداً ما يتعلّق بطريقة تحويل البيانات النوعيّة إلى بيانات كمّيّة، والجزء الآخر منها خاصّ بهذا الكتاب، وتحديداً ما يتعلّق بموضوعه.

٢ ٢٢ سؤالاً × ٣ جنسيّات.

٣ سؤال رقم ٢٠: كيف تنظرون إلى مستقبلكم؟ سؤال رقم ٢١: ماذا تتوقعّون أن يحصل معكم فعلاً في المستقبل؟ سؤال رقم ٢٢: ما أبرز أمنية تتمنون لو تتحقّق في المستقبل؟

بعد أنّ يحصل المُيسِّر من شباب المجموعة على الأجوبة المباشرة على السؤال، ينطلق النقاش عن الموضوع المطروح، وهو نقاش مفتوح ويحتمل الكثير من الجوانب أو المواضيع الفرعيّة. في موضوعنا، تكلّم المشاركون مثلاً عن أسباب النظرة السلبيّة إلى المستقبل، وهذا ما نسمّيه في الفريق «بيّنات» (proofs). في سياق الكلام عن الأسباب يتفاعل الشباب ويتحدّثون مثلاً عن أوضاع لبنان السيّئة، الوضع الإقليمي واللجوء والنزوح، اليأس وضياع المستقبل، وغيرها من الأمور والمواضيع التي يجري الاستطراد فيها. وبما أنّ كلّ مجموعة تتوسّع في مواضيع أكثر من غيرها، كان لا بدّ من حصر القضايا المطروحة في سائر المجموعات. هذه نقطة. والنقطة الثانية أنّ المجموعة نفسها لا تتحدّث بلسان واحد بل تُطرح فيها مواقف مختلفة، أي أنه قد تطرح في المجموعة نفسها الأسباب الثلاثة معاً. وبما أنه يهمّنا احتساب كلّ جواب في جميع المجموعات، اعتبرنا أنّ موقف المجموعة في هذه الحالة «مُتعدِّداً».

نتيجة هذه الوضعيّة المُعقّدة، يكون احتساب القضايا والمواقف مُعقّداً أيضاً، وتتفاوت المجاميع من موضوع إلى آخر.

على سبيل المثال، تطرّقت ٩٩ مجموعة الى أسباب النظرة السلبيّة، وكان السبب واحداً في ٤٥ مجموعة، ومُتعدّداً في المجموعات الـ٥٤ الأخرى. جرى تفكيك هذه الأجوبة المُتعدّدة وتفصيلها في لائحة إلى جانب الـ٣٩ جواباً، فحصلنا على ١٧٥ جواباً كان بالإمكان تتبّعها وفق الجنس والجنسيّة. إنّ رقم ١٧٥ هو أعلى من رقم ١٤٤، لكنّه لا يعني ١٧٥ مجموعة بل ١٧٥ جواباً. هذا سرُّ غِنى مجموعات التركيز، وجمال قراءة محاضرها، ثمّ صعوبة تحليلها لاحقاً. تبيّن من المحاضر (التي صار اسمها سجّلات إكسيل) أنّ المجموعات تشاركت في أمور كثيرة من تلقاء نفسها واختلفت في أمور كثيرة. سمحت هذه «الأمور الكثيرة» بكتابة أوراق عن كلّ جنسيّة على حدة (الفصول السابقة في هذا الكتاب)، وتسمح الآن بالمقارنة بين الجنسيّات بحثاً عن النقاط المُشتركة والنقاط المختلفة أيضاً.

تهدف المقارنة الإحصائيّة إلى: ١) استخراج ما يجمع المجموعات الثلاث طالما أنّها تعيش في شروط تهميش اجتماعي مُتشابهة. ٢) استخراج الفروق بين الجنسيّات وبين الجنسين.

أوّلاً: القضيّة

إذا سألت طفلاً عمّا سوف يفعله في المستقبل، أو عندما يكبر، فإنّه يرتجل فكرة تتماهى مع أحد البالغين (أمّ، أبّ، معلّمة، نجم رياضي، إلخ). تكون أمال الطفل أشبه بالأحلام، وما فيها من رغبات مُعلنة، من شراء لعبة إلى تقليد نجم سينمائي أو رياضي.

أمّا إذا سألت شاباً عن المستقبل، سوف تجد عنده مزيجاً من فعلين، يحلم أو يتمنّى وكأنّه طفل، ويفكّر كأنّه راشد (adult)، فتكون تصوّراته آخذة بالاعتبار الواقع الفعلي الذي يعيشه. فهو يعرف تماماً الآن موقعه في السلم الاجتماعي، ويعرف قدراته، ويبني عليهما توقّعاته ونظرته إلى المستقبل. يحمل هذا المزيج مشاعر متضاربة من الأمل والإحباط، من الواقعيّة والخيال، من العقلانيّة والحلم. هذا المزيج هو الذي يميّز الشباب مقارنة بالأطفال والراشدين. إذ تنطلق منه الرغبة في التغيير بل الجموح نحو التغيير. يحمل الشباب معه هذه النزعة في التغيير عند الانتقال إلى سنّ الرشد، ثمّ تتلاشى هذه الرغبة بسرعة أو بطء تبعاً لسرعة الانتقال من عمر الشباب إلى عمر الرشد، وفي عمر الرشد تبعاً لقوّة المحافظة والتقليد في السياق المحيط.

الشباب الذين نتكلم عنهم اليوم، معرّفون بأنّهم يعيشون في بيئات مُهمّشة. أي أن الجانب الواقعي العقلاني لديهم يضيّق الخناق على توقّعاهم وآمالهم في تحسّن أوضاعهم. في حين أنّ الجانب الحالم يكون محكوماً بفكرة القفز من الواقع المُذري على طريقة ربح جائزة اليانصيب. قضاء وقدر. وأبرز عنوان في صورة المستقبل تكون الهجرة.

طبعاً لدينا هنا ثلاث تجمّعات سكّانيّة، لبنانيّة وفلسطينيّة وسوريّة، ولكلّ منها قصّتها، ويعكس الشباب أيضاً، وبصورة وجدانيّة، بدايات القصّة ونهاياتها. بداياتها الواقعيّة ونهاياتها الخياليّة (الحلم). هذا ما يُعقِّد اللوحة العامّة من جهة، ويعطيها من جهة ثانية غِنىً، في ما يجمعهم كشباب في مجموعات مُهمّشة، وفي ما يفرِّقهم كثلاث جنسيّات.

طرحنا عليهم في المجموعات المركّزة ثلاثة أسئلة، سوف أعرض النتائج، ليس بحسب تسلسل الأسئلة كما وردت في الاستقصاء، بل بحسب القضية كما طرحتها أعلاه: الأمنيات (الأحلام)، التوقّعات (الصورة العقلانيّة - الواقعيّة)، ثمّ صورة المستقبل (المشاعر).

سوف أستعرض النزعات العامّة لدى الشباب في هذه الأمور الثلاثة ثمّ أعود إلى البحث عن ملامح كلّ من الجنسيّات الثلاث وكلّ من الجنسين.

ثانياً: النزعات العامّة

١. ما أبرز أمنية تتمنّون لو تتحقّق في المستقبل؟

الأمنيات الفرديّة أو شخصيّة الطابع هي الغالبة، لكن الأمنيات «العامّة» أقوى حضوراً من الأمنيات الاجتماعيّة، ما يثير الفضول حيال طبيعة هذه الأمنيات العامّة.

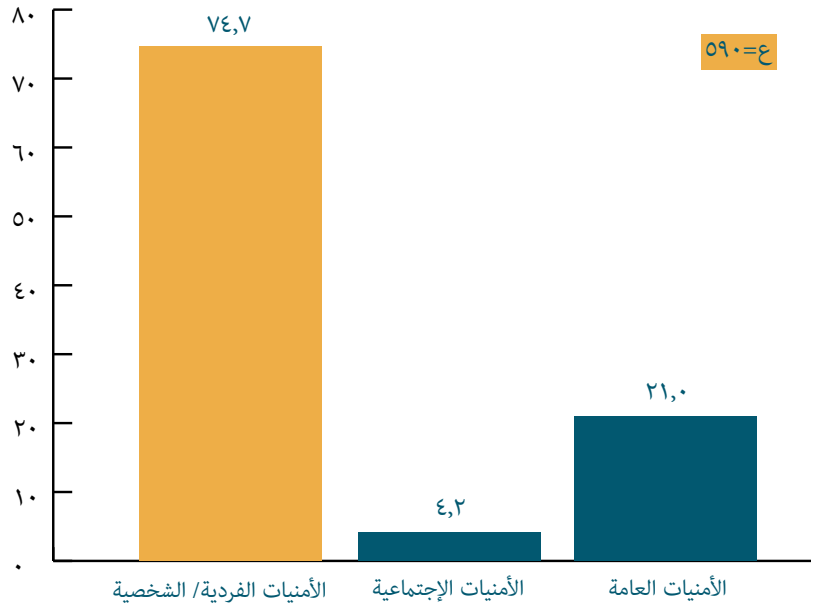

٢. هذه الأمنيات الفرديّة-الشخصيّة، تتعلّق بالمتكلّم نفسه، ونجد فيها كلّ الاحتمالات العقلانيّة وغير العقلانيّة، الواقعيّة وغير الواقعيّة، فهي تجسّد بصورة صارخة أحوال الشباب في المجموعات التي نتكلّم عنها.

- **المغامرة،** وتشمل: **اللهو،** الشهرة، الراحة، الهوايات، الفنون، السفر، السياحة. وتشمل **عدم الزواج**. وتشمل **الفانتازيا**: العودة بالزمن، الطفولة، الشهادة والدخول إلى الجنّة، الموت، الفوز باللوتو، أن ينجح الريجيم، أنحف، أهرم، إلخ...
- **الترقّي الاجتماعي،** ويشمل العمل، الوظيفة، الرتبة، الملكيّة، تملّك منزل، الثراء، النجاح، تأمين المستقبل، تحقيق الأحلام، متابعة الدراسة، التخصّص، فعاليّة في المجتمع.
- **الاستقرار،** ويعني: البقاء في لبنان،
- الزواج، الراحة والأمان، الحجّ، الصحّة.
- **المسؤوليّة،** تمّ التعبير عنها في «لعب دور في المجتمع».
- **العودة إلى بلدي.**
- **الهجرة.**

يبيّن الرسم البياني أنّ الميل إلى المغامرة يوازي الميل إلى الاستقرار، أي أن النزعة المحافظة تساوي النزعة نحو التمرّد، وكلّ منهما أقل أهمّية من الرغبة في الترقّي الاجتماعي والهجرة. هاتان النزعتان تستحوذان معاً على نصف الاختيارات. في حين أن التمنّي المتعلّق بلعب دور تغييري في المجتمع هامشي في الأجوبة.

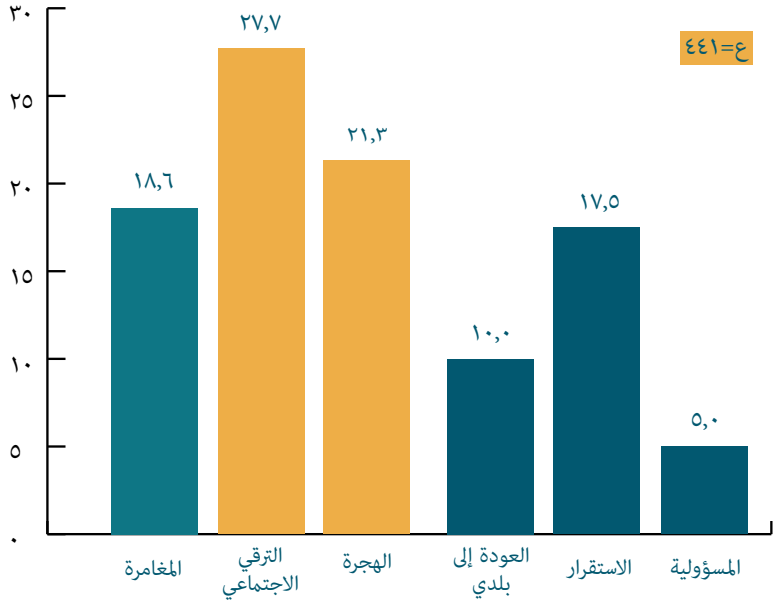

٣. الأمنيات العامّة المحدودة الحضور في كلام الشباب مقارنة بالكلام عن الأمنيات الشخصيّة، تثير كافة جوانب أو أبعاد المشاكل التي يعاني منها لبنان والمقيمين على أرضه.

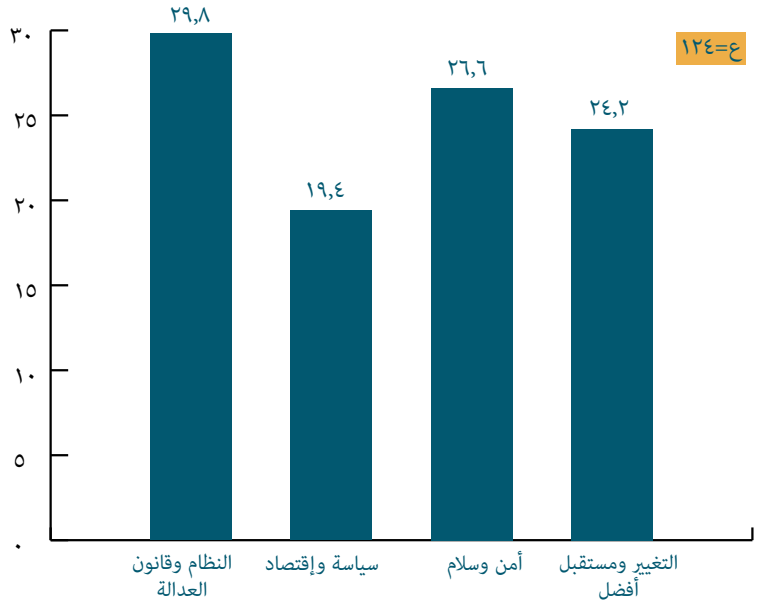

٤. إذا سألنا الشباب عن توقّعاتهم (ماذا تتوقعون أن يحصل معكم فعلاً في المستقبل؟) تطلّ الوقائع (the facts) برأسها وبقوّة. وتأتي التوقّعات الوجوديّة في الطليعة.

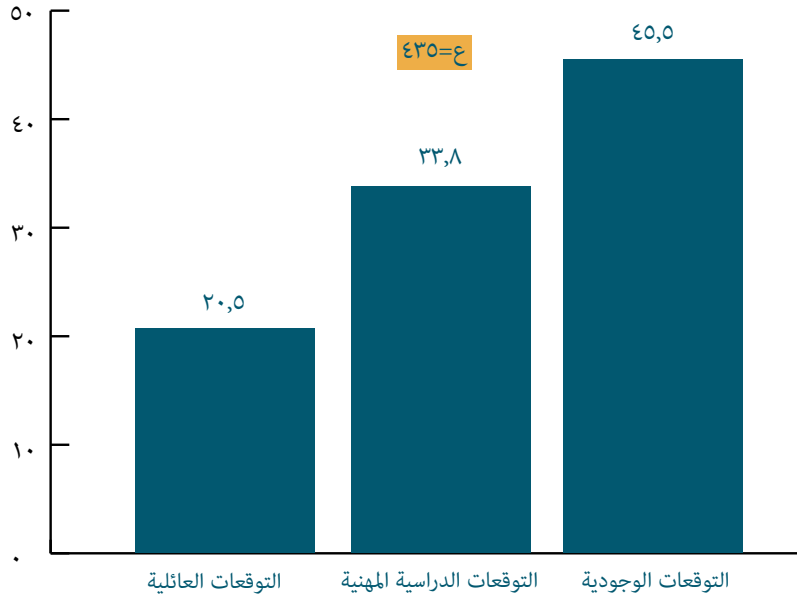

٥. التوقّعات الوجوديّة تقول إنّ الشباب يختارون ما بين الأسوأ والهروب من الأسوأ (الهجرة)، وما بينهما (توقّع الأحسن) هو أقرب إلى التفكير عن طريق التمنّي (wishful thinking): حياة أفضل، السلام، توقّف الحرب، العودة إلى الوطن. وهو شكل من أشكال التفكير القدري أو المراهنة على اللوتو.

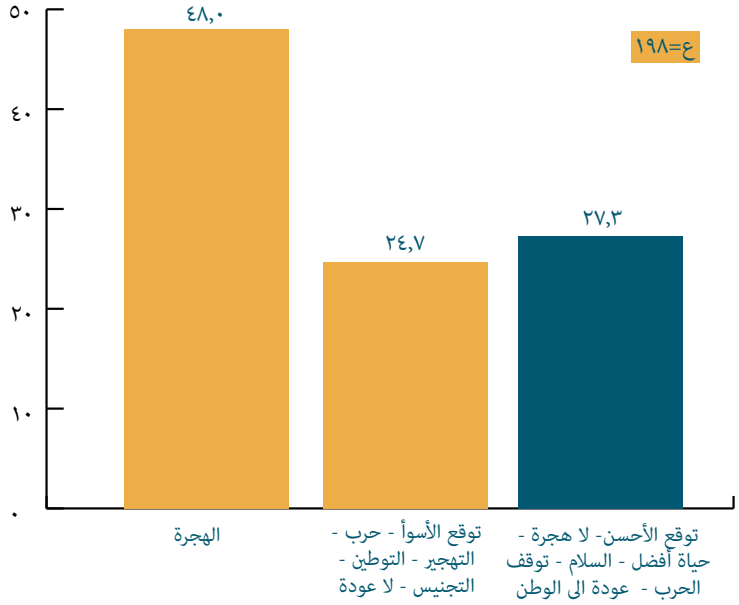

٦. التوقّعات الاجتماعيّة تتعلّق بالعمل والدراسة، والصورة هنا إيجابيّة بخلاف ما كان عليه الحال في العمل (الكتاب الأوّل).

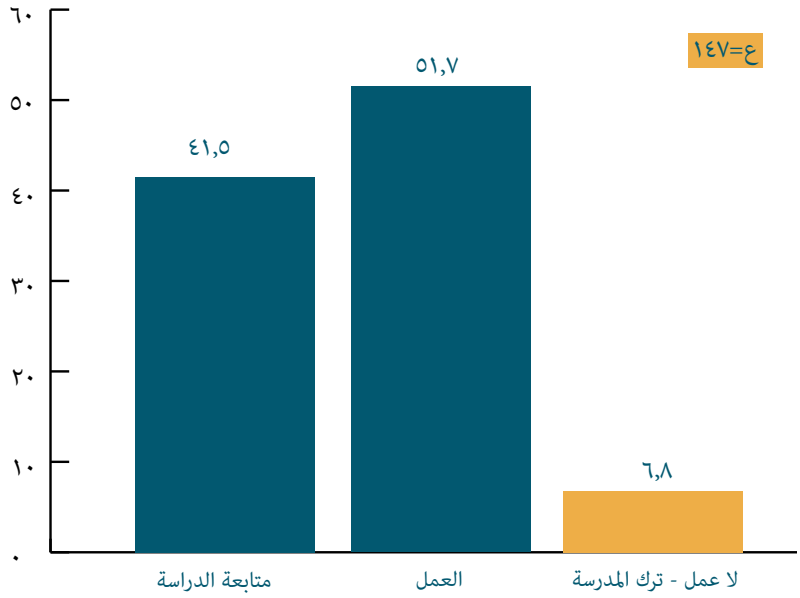

٧. صحيح أن التوقّعات الأسريّة أقل أهميّة على لسان الشباب من التوقّعات الوجوديّة والمهنيّة الدراسيّة، لكنّها مركّزة على موضوع رئيسي هو الزواج والإنجاب. على أنّ عدم الزواج، على قلّة التعبير عنه، يؤشّر على التمرّد.

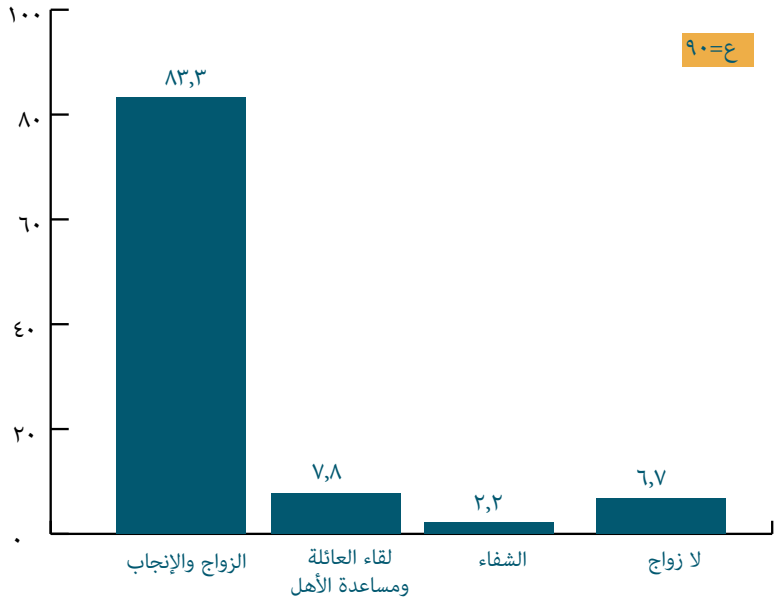

٨. خلاصة الموقف من المستقبل تقوله الإجابات على السؤال الأوّل في تسلسل الاستقصاء: كيف تنظرون إلى مستقبلكم؟ لا أمل، قلق وخوف وغموض.

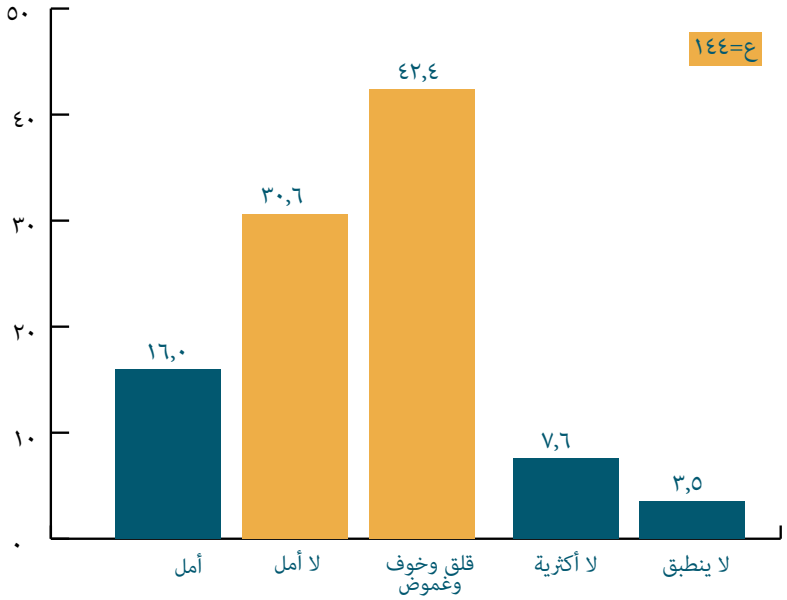

٩. أمّا الأسباب فتكاد تكون معروفة ويقولها الشباب من جميع الجنسيّات:

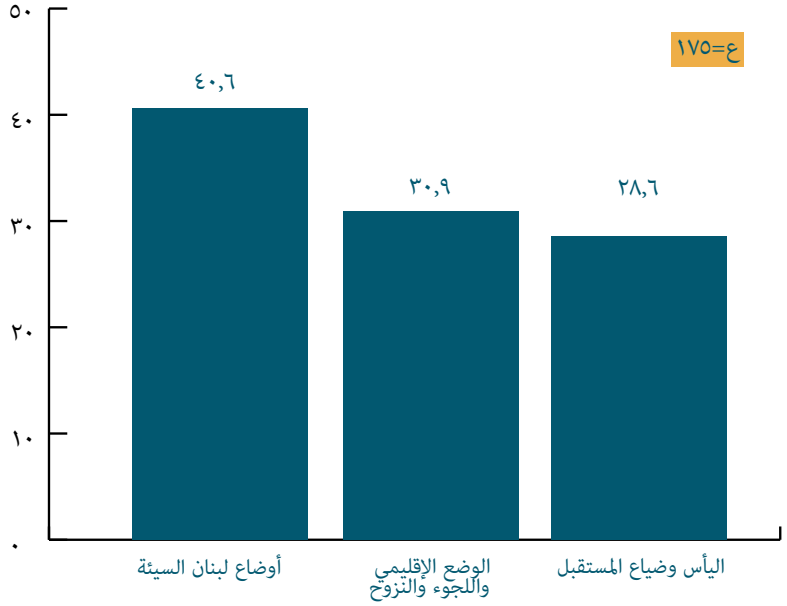

ثالثاً: الفروق بين الجنسيّات

١٠. تتشابه الجنسيّات في نصف المواضيع المطروحة على الشباب في هذا المحور المتعلّق بالمستقبل. ويزيد البوْن عن المجموع لدى السوريين (في ٧ مواضيع)، وينخفض عند اللبنانيين (٥ مواضيع) ثمّ عند الفلسطينيين (٣ مواضيع).

١١.السوريون يفترقون في أنهم: الأكثر قلقاً وخوفاً وشعوراً بالغموض بالنسبة إلى المستقبل، ويعزون ما يشعرون به إلى الأسباب المعروفة، الوضع الإقليمي والحرب والنزوح القسري. لذلك تفيض عندهم التوقّعات الوجوديّة (مقارنة بالتوقّعات العائليّة والدراسيّة-المهنيّة). لكن المفاجئ أنّهم عندما يتكلّمون عن التوقّعات الدراسية المهنيّة تزيد عندهم حصّة متابعة الدراسة، وتزيد عندهم في التوقّعات الوجوديّة حصّة توقّع الأحسن. إنّها معادلة دفاعيّة توازِن بين الواقع والحلم. ونتفهم بالتالي كيف أن الأمنيتين البارزتين عندهم هما: العودة إلى بلدي والأمن والسلام.

١٢. يفترق الشباب اللبنانيون عن السوريين والفلسطينيين في ثلاثة أمور. الأوّل في عزو الصورة السلبيّة نحو المستقبل إلى الوضع العام في البلاد. ومن طينة هذه الحجّة تخرج التمنّيات، التي هي ذات طابع عامّ يتركّز أيضاً في السياسة والاقتصاد. الأمر الثاني أنّهم يركّزون في توقّعاتهم على جانبي الدراسة والعمل، في مقابل التوقّعات الوجوديّة مثلاً عند السوريين. من هذا الباب المُقفل تحديداً، يقفز توقّع الهجرة عندهم (٦٨٪) أكثر من الفلسطينيين (٥٥٪) والسوريين (٢٩٪). الأمر الثالث أنّ تمنّياتهم العامّة كانت أكثر حضوراً، فيما ارتفعت حصّة المغامرات في تمنّياتهم الفرديّة.

١٣.الشباب الفلسطينيون هم على العموم في هذا المحور كما في المحاور السابقة أقرب إلى المعدّلات العامّة، أي أن الافتراق عن الجنسيّات الأخرى كان محدوداً: يتوقّعون الأسوأ في المستقبل، وهم أكثر من يتكلّم عن عدم الزواج، والأمنية العامّة الأكثر وتيرة عندهم (مقارنة بغيرهم) هي إقامة النظام والقانون والعدالة.

رابعاً: الفروق بين الجنسين

١٤. لا توجد فروق ذات شأن بين الجنسين: يشتركان في النزعات نفسها في ٨ بنود من أصل ١٢.

١٥. الإناث أكثر تعبيراً عن القلق والخوف والغموض، لكنهن يعبّرن أكثر من الذكور عن توقّع الأحسن والمراهنة على الفرص الدراسيّة المهنيّة في المستقبل.

١٦. الذكور أكثر كلاماً عن غياب الأمل، وتوقّع الأسوأ، والهجرة (والتوقّعات الوجوديّة عموماً).

أربع خلاصات:

١. تظهر ردود أفعال الشباب على الأسئلة المُتعلّقة بالمستقبل، أنّهم يواجهون تحدّيين إثنين، كلٌّ منهما أقوى من الآخر: تحدّي شروط العيش الصعبة في بيئات مُهمّشة، وتحدّي العيش في ظروف سياسيّة أقلّ ما يقال عنها أنّها غامضة ومجهولة المآل: نزوح السوريين ولجوء الفلسطينيين وتشتّت اللبنانيين في هويّات جماعيّة. في جميع هذه الحالات لا يرى الشباب سبيلاً إلى «عمل» (action) ما يمكنهم القيام به. هذا معنى أنّ ٧٣٪ منهم يشعرون بفقدان الأمل والخوف والقلق والغموض.

٢. هذا الإحباط العام يفسِّر النظر إلى المستقبل بصورة أحلام تجسدها غلبة التوقّعات الوجوديّة، وفي طليعتها الهجرة، أو مجرّد التمنّي بالسلام والأمن، وهي توقّعات مرهونة بالقدر. لعلّ التوقّعات العائليّة هي الوحيدة الآمنة والمُسبِّبة للفرح وفي طليعتها الزواج والإنجاب. صحيح أنّ التوقّعات الدراسيّة والمهنيّة تشير إلى عدم غياب هامش «العمل» (action)، لكن عند البحث والتدقيق عمّا يتحدّث به الشباب هنا يظهر أنّ هناك ١٠٤ مجموعات صمتت عن تحديد ماهيّة هذه الفرص، في حين أنّ المجموعات الـ٤٠ الباقية ظهرت فيها كلمات طبيب ومحامي ومهندس وأستاذ جامعي ورجل أعمال، ووردت ٢٠ مرّة. لم ترد هذه المهن مُطلقاً في محور الحياة المهنيّة. بالتالي، كان السؤال هنا: ما أبرز أمنية تتمنّون لو تتحقّق لكم في المستقبل؟ وكان السؤال هناك: ما هي فرص العمل المُتاحة لكم؟ هو فرق بين الكلام عن الوقائع والكلام عن الأحلام.

٣. إذا كانت «المغامرة»، وما فيها من حبّ وعزوبيّة ولهو وفنتازيا، خاصيّة شبابيّة بامتياز، فقد بدا الشباب اللبنانيون أكثر إقبالاً عليها، وأكثر كلاماً عن رغبتهم في «لعب دور في المجتمع». وهذا من حظّهم، لأنّ الفلسطينيين والسوريين لا يقيمون في دولتهم، بحيث تصبح فكرة «المجتمع» غامضة أيضاً.

٤. نتائج هذا المحور هي استكمال طبيعي للمحاور السابقة، فالشباب هم أنفسهم الذين يتكلّمون، ونحن، فريق البحث، من جزّأنا الأجوبة على كلّ سؤال، وقبل ذلك نحن من جزّأنا الموضوع كلّه إلى ٢٢ سؤالاً. أسقطوا مشكلة **العمل** على الجماعات الأخرى، عاشوا مناخ العنف في **المدرسة**، أظهروا امتثاليّة لافتة اتجاه **أسرهم**، إنكفأوا عن المشاركة في **الفضاء العام** المُفقود أصلاً، ويلبسون **هويّة** جماعتهم فوق أو بدلاً من هويتهم كشباب.

معهد عصام فارس للسياسات العامّة والشؤون الدولية في الجامعة الأميركية في بيروت (IFI)

يسعى معهد عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية، في الجامعة الأميركية في بيروت، إلى تيسير الحوار وإثراء التفاعل بين الجامعيين المتخصصين والباحثين وبين واضعي السياسات وصانعي القرار في العالم العربي بصفة خاصة. ويعمل على إشراك أهل المعرفة والخبرة في المنظمات الدوليّة والهيئات غير الحكوميّة وسائر الفاعلين في الحياة العامة. كما يهتم، من خلال الدراسات والأنشطة، بتعزيز النقاش المفتوح حول جملة من القضايا العامّة والعلاقات الدولية وبصياغة الاقتراحات والتوصيات المناسبة لرسم السياسات أو إصلاحها.

الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية (LAES)

الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية هي جمعية مهنية غير سياسية لا تتوخى الربح، تأسست في بيروت عام ١٩٩٥. أعضاؤها هم أساتذة أكاديميون وباحثون في المجال التربوي وينتمون إلى مختلف الجامعات والمؤسسات التربوية في لبنان. ومن أهداف الجمعية: ١) تطوير المعرفة التربوية ونشرها، ٢) تعزيز المجتمع العلمي التربوي، ٣) التفاعل مع الهيئات المماثلة في البلدان العربية، و٤) المساهمة في التطوير التربوي في لبنان والبلدان العربية الأخرى. ويتم العمل على تحقيق هذه الأهداف من خلال إجراء البحوث والدراسات والتوثيق والنشر وعقد المؤتمرات والحلقات الدراسية. أصدرت الهيئة أكثر من ٢٥ كتاباً في المجال التربوي. وتلتزم الهيئة القيام بأنشطة وتنفيذ مشاريع تتلاءم مع أهدافها. وهي تتعاون مع جهات مختلفة من أجل تمويل هذه الأنشطة، ومن بين هذه: وزارة التربية والتعليم العالي، مؤسسة فورد التربوية، مكتب اليونسكو الإقليمي في البلدان العربية، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، معهد التربية الدولية، البنك الدولي، الإتحاد الأوروبي، معهد عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية في الجامعة الأميركية في بيروت، وغيرها. الموقع الإلكتروني: www.laes.org